إجمال البيان

في مباحث من علوم القرآن

بقلم

أ. د. عبد اللهِ أحمد أحميد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة المفتوحة - قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الفاتح - كلية الآداب - قسم اللغة العربية



الطبعة الثانية مزيدة ومحققة

1374و.ر - 2006م

القسم الثاني

الافتتاحية

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، وعلى جميع إخوانه الأنبياء السابقين، وعلى من سار على منهاجهم إلى يوم الدين.

وبعــــد....

فهذا هو القسم الثاني من كتابي المسمى: ((**إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن**)).

أقدمه للطبع ليتيسر الانتفاع به لمن أراده، وقد جاء بعون الله وحسن توفيقه مشتملاً على مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة.

أما المقدمة، ففي وصف القرآن وعناية المسلمين به على مر العصور ومن شتى النواحي.

وأما المباحث، فهي مجملة كما يلي:

المبحث الأول: في رسم القرآن وكتابته وإعجامه.

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه من القرآن.

المبحث الثالث: النسخ في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن.

المبحث الخامس: القصص القرآني.

المبحث السادس: القسم في القرآن.

المبحث السابع: حكم حفظ القرآن وتلاوته وتعليمه وآداب القارئ والمستمع.

المبحث الثامن: ترجمة القرآن إلى غير العربية

ثم الخاتمة.

وفيما يلي التفصيل:

المقـــــــدمـــــة

لقد نزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ مفرقاً فيما يقرب من ثلاث وعشرين سنة، وأحاطه المسلمون في عهده - وهم الصحابة الكرام - بعناية تامة لم يحظ بها كتاب غيره، فأصبح شغلهم الشاغل يجدون كل الجد في مدارسته ويبذلون جهدهم في حفظه وتلاوته آناء الليل والنهار، ويهتمون بتطبيق أحكامه والعمل بكل ما جاء به ثم يبلغونه للناس الذين كانوا يدخلون في دين الله، حتى صاروا بشهادة الله خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

ونتيجة لتلك العناية وهذا الاهتمام، كان القرآن من أعظم نعم الله على الإنسانية عامة، وعلى العرب والمسلمين خاصة، إذ بسببه عرفوا للعلم فضله وللمعرفة حقها، كل هذا بفضل عنايتهم بالقرآن، ذلك الكتاب العظيم المهيمن عل غيره من الكتب المنزلة.

فقد أمر النبي ﷺ بتدوين النص القرآني واعتبر أمره هذا منطلقاً وأساساً لمعظم المعارف والعلوم الإسلامية التي نشأت في صدر الإسلام. ووفق الله تعالى المسلمين إلى العناية بالقرآن والمحافظة عليه، بل جعلها البعض من أوكد الواجبات وأعظم القربات تنفيذاً لأمر النبي الكريم وتحقيقاً لوعد الله تعالى المنـــزل في قوله عز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ولا ريب أن هذا الحفظ الذي تكفل به المولى يشمل حفظ الكتاب من التحريف والتبديل ومن الزيادة والنقصان، وشرح الآيات واستنباط الأحكام منها ودفع الشبه عنه، وإظهار بلاغته وبيان إعجازه، وما إلى ذلك من العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن.

ولهذا، تهيأت العقول الثاقبة والقلوب النيرة والجهود المتضافرة للعمل المتواصل على تحقيق هذا الحفظ، وذلك بإيجاد وسائل وإحداث مناهج علمية دقيقة مهمتها حفظ

النص القرآني، ونقله جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر كما أنزل على المصطفى ﷺ. فقد كانت الآيات تنـزل عليه وتكتب بحضرته وبأمره -كما تقدم في القسم الأول - تكتبها الأيدي الأمينة الحريصة على كتاب الله حرصها على أعز شيء لديها أمام ناظري النبي ﷺ وعلى مسمع منه. وتتلقفها القلوب الواعية وتتشربها الأفئدة النيّرة، ولا يمر يوم إلا والعناية بالقرآن تزداد، ومدارسته والعمل بأحكامه في نمو واطراد. فكل عالم من العلماء في أي فن من فنون المعرفة الإسلامية إلا وله حظ من العناية به، كل في مجال تخصصه. فاللغويون تناولوه من جانب اللغة وتفسير الألفاظ، والنحويون اعتنوا بضبط أواخر الكلمات بالحركات الإعرابية، واهتم علماء القراءات والتجويد بتحرير كلماته حسب الرواية المتصلة عن الثقاة وبالتواتر مع مراعاة كيفية الأداء عنه ﷺ.

وعلماء البلاغة قاموا بإظهار ما حواه الكتاب من أساليب بليغة وبيان معجز لم يستطع العرب أن يأتوا بمثله. وكذلك جاء لفيف من العلماء تتبعوا الرسم القرآني وأحصوا جميع الكلمات المرسومة برسم خاص يعرف بالرسم العثماني ووضعوا له قواعد وضوابط.

وقد جاء هذا القسم من الكتاب من هذا ونحوه بحظ وافر، أقدمه إلى أبنائي الطلاب والدارسين والباحثين في علوم القرآن بأسلوب سهل واضح، قمت بجمع معلوماته من المراجع والمصادر القديمة والحديثة.

هذا مع العلم، بأني لم أكتف بالجمع والنقل والترتيب والتنظيم، فحسب، بل حاولت بقدر استطاعتي أن أرجح بعض الآراء، وأن أضيف بعض الملاحظات آخذاً بيد الطلاب إلى السديد والصحيح من أقوال العلماء، ولا أدّعي أني وصلت إلى الغاية المقصودة من دراسة هذه الموضوعات القيمة، وحسبي أني حاولت وأوصلت القارئ إلى بداية الطريق، وعليه أن يتمها بالرجوع إلى المصادر التي أخذت منها، إن أراد المزيد.

واخيراً، أرجو ممن اطلع على ما كتبت إن رأى خطأ أن يصلحه ويستغفر لي

ويعذرني، لأن كل إنسان معرض للخطأ إلا من عصمه الله. ولقد بذلت جهدي وتحريت أصح الأقوال وأوثق الروايات، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وأرجو منه جلت قدرته أن يهديني إلى الصواب والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الأول

في رسم القرآن وكتابته

وإعجامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ

رسم القرآن الكريم وكتابته[1]:-

عنوان هذا البحث فيه كلمتان مضافتان إلى القرآن، وهما الرسم والكتابة. أما الكتابة، فقد تقدم الكلام عليها مفصلاً في مبحث جمع القرآن من القسم الأول من هذا الكتاب. وقد تبين هناك مدى الحرص التام والعناية الفائقة اللذين أولاها المسلمون الأوائل كتاب ربهم للمحافظة عليه، وصيانته من التحريف والتبديل ورأينا فيه كيف كتب القرآن، وفي أي شيء كتب، وفي عهد من كتب، ومن هم الذين قاموا بكتابته من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وعلمنا كيف كانوا يسارعون بأمر من النبي ﷺ إلى كتابة كل ما ينـــزل عليه من القرآن ولو كان النازل بعض آية[2].

وأما الرسم، فهذا هو موضعه ومحل بحثه ويعبر عنه أيضاً بالرسم العثماني نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وذلك لأن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه والثلاثة القرشيين معه اتبعوا طريقة خاصة في كتابة المصحف ارتضاها لهم عثمان، فمن ثم نسب الرسم إليه واشتهر به فقيل الرسم العثماني.

1- يقصد من الكتابة، إما الخط وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض، وإما جمع القرآن من صدور الحفاظ فعلى الأول يكون عطفها على الرسم من باب عطف التفسير، وعلى الثاني يكون من عطف المغاير والأول هو المناسب لأن المقصود من الرسم هو الكتابة هنا.

2- روي انه لما نزل قوله تعالي ﴿ لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (الآية 95، من سورة النساء). قال ابن أم مكتوم وعبد الله ابن جحش: يا رسول الله إنا أعميان فهل لنا رخصة ؟ فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ قال رسول الله ﷺ : إئتوني بالكتف والدواة وأمر زيداً أن يكتبها فكتبها فقال زيد: كأني أنظر إلى موضعها عند صاع الكتف. أ. هـــ. من مناهل العرفان جـــ1، ص 368. والحديث رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه نزلت الآية أولا بدون قوله غير أولي الضرر، ثم أضيفت بعد السؤال.

أهمية المبحث وعناية العلماء به:-

ترجع أهمية الرسم العثماني المتبع في كتابة المصاحف للمزايا والفوائد التي روعيت فيه والتزم من أجلها، كما سيأتي. وأيضاً لما فيه من الأغراض الشريفة والإشارات اللطيفة التي ظهرت وتظهر بالتأمل والتدبر في آيات القرآن الكريم، ولهذا أفرده جماعة من العلماء بالتأليف مثل أبي عمرو الداني[1] في كتابه المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، والعلامة أبي العباس المراكشي[2] في كتابه ((عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل)). وقد تكلم هؤلاء العلماء على الرسم القرآني بالتفصيل، فحصروا جميع الكلمات المخالفة للرسم الإملائي والمختلفة في المصاحف فيما بينها وللنطق السليم في بعض الكلمات، وبينوا اختلاف تلك المصاحف الأولى فيها[3] بالرواية والأسانيد المتصلة بمن شاهد تلك المصاحف. ونظراً لهذه المخالفة جرى خلاف بين العلماء حولها، فبينما نرى جلّهم يلتزم بالرسم العثماني ويعتبرونه سنة متبعة تجب مراعاته والأخذ به رغم مخالفته المذكورة، نرى البعض الآخر يقولون: لا داعي لالتزامه بل تجوز مخالفته وتكتب المصاحف بالرسم الإملائي المتعارف لضبطه وملاءمته للنطق الصحيح بالكلمات. وبالتالي فيه حفظ للقارئ من الخطإ في قراءة القرآن، ولكل من الرأيين حجج وبراهين تؤيد ما ذهب إليه. وفي النقاط التالية أورد ما يفتح الباب وينير الطريق أمام القارئ ليكون على بينة في هذا الموضوع المهم، علماً بأني ألحقت بهذا المبحث نقطة لها صلة بالموضوع ومفيدة في تحسين خط المصحف وتسهيل القراءة فيه وهي الإعجام، وفيما يلي تفصيل هذه النقاط:

---

1 – هو عثمان بن سعيد بن عثمان من موالي بي أمية بالأندلس، ولد سنة 371 وتوفي سنة 444هـ، وهو من أئمة علم القرآن ورواياته وتفسيره: انظر الأعلام للزركلى، جـ4، ص 206.

2 – هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشي المعروف بابن البناء، توفى سنة 721هـ، الأعلام للزركلي، جـ1، ص222.

3 – هي المصاحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان وأرسل منها إلى الأمصار الإسلامية.

أ – ما الرسم العثماني؟ وما الفرق بينه وبين الرسم الإملائي؟

الرسم العثماني: هو ذلك الوضع الذي ارتضاه الإمام عثمان رضي الله تعالى عنه لكتابة كلمات القرآن وحروفه وتمت عليه الكتبة الأولى للمصاحف الشريفة، ومن المعلوم أن الأصل في المكتوب أن يكون موافقاً كل الموافقة لمنطوق اللفظ من غير زيادة ولا نقصان، وإذا نظرنا إلى المصحف لوجدنا عدداً كبيراً من كلماته وحروفه رسمت رسماً يخالف النطق ولا يتفق مع الرسم الإملائي الحديث الذي يمتاز بالدقة والضبط.

ب– قواعد الرسم العثماني:

من البحوث التي أجراها العلماء قديماً على الرسم العثماني، ومن المقارنة بينه وبين الرسم الإملائي، استنتجوا له قواعد وضوابط فيما يلي بيانها، وهي بجملة الحذف والزيادة والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان ورسم برسم يحتملهما. وأما تفصيلها فهو الآتي:–

القاعدة الأولى: الحذف، وهو على ثلاثة أقسام: حذف الألف، وحذف الواو وحذف الياء.

1– أما حذف الألف، ففي مواضع ذكر منها الزركشي في البرهان ثمانية من بينها مع التمثيل ما يلي:

أ– حذف الألف بعد ياء النداء، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾[1]، ﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾[2].

ب – من جمع السلامة لمؤنث أو مذكر، مثل قوله: ﴿ وَالصَّدِقِينَ وَالصَّدِقَاتِ وَالصَّبِرِينَ

---

1 – من الاية 53 من سورة الزمر.

2 – الآية 41 من سورة غافر.

﴿وَالصَّٰبِرَٰتِ﴾[1].

جـ- من الأسماء الأعجمية الواردة في القرآن كإبراهيم وإسماعيل وإسحق وهرون ونحوها.

د - ومن لفظ الجلالة (الله) والرحمن وسبحن، إلا في الإسراء الآية 93 فقد رسمت بالألف بعد الحاء في قوله: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾.

2- وأما حذف الواو، ففي ما إذا اجتمعت مع واو أخرى في كلمة اسماً أو فعلاً مثل داود. وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ وقوله: ﴿ فَأْوُۥا إِلَى الْكَهْفِ﴾[2] وتحذف الواو أيضاً في بعض الأفعال لمعنى مقصود كما سيأتي التمثيل لها في القاعدة الرابعة.

3- وأما حذف الياء، ففي موضعين:

أ - إذا كانت للمتكلم تحذف وتبقى الكسرة دليلاً عليها، مثل قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3] وقوله : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[4]، وقوله : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[5].

ب- إذا كانت لام الكلمة اسماً أو فعلاً، مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[6]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[8].

<u>القاعدة الثانية:</u> قاعدة الزيادة، وهي ثلاثة أقسام زيادة الألف، وزيادة الياء، وزيادة الواو

---

1 - الآية 35 من سورة الأحزاب.
2 - الآية 18 من سورة السجدة، والآية 16 من سورة الكهف.
3 - الآية 186 من سورة البقرة.
4 - الآية 41 من سورة البقرة.
5 - الآية 20 من سورة آل عمران.
6 - الآية 6 من سورة القمر.
7 - الآية 105 من سورة هود.
8 - الآية 146 من سورة النساء.

وفيما يلي تفصيلها مع التمثيل لها:

1- زيادة الآلف تأتي بعد الواو وفي آخر الكلمة، وهي في مواضع من القرآن منها:

أ – في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاء اللَّه ﴾[1].

ب- وفي قوله: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾[2]،

1. وكذلك تزاد الألف بعد الهمزة المرسومة واوا متطرفة، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[3]، وقوله: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾[4]، وقوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُا مِنكُمْ﴾[5].

2. زيادة الياء وقد جاءت في كلمات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾[6]، وقوله: ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[7]، وقوله: ﴿ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي﴾[8]، ومثلها ملأيـــه وملأيهم في جميع القرآن[9].

3. زيادة الواو وتكون بعد الهمزة للفرق بينها وبين الألف اللينة أو لبيانها، مثل قوله تعالى: ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[10]، وكذلك أولئك وأولوا وأولاء في جميع القرآن.

---

[1] - الآية 5 من سور العنكبوت.

[2] - الآية 13 من سورة الحج.

[3] - الآية 85 من سورة يوسف.

[4] - الآية 21 من سورة إبراهيم.

[5] - الآية 4 من سورة الممتحنة.

[6] - الآية 47 من سورة الذاريات.

[7] - الآية 6 من سورة القلم.

[8] - الآية 15 من سورة يونس.

[9] - من الآية 75، والآية 83 من سورة يونس.

[10] - الآية 145 من سورة الأعراف.

القاعدة الثالثة: قاعدة البدل، وهي في موضعين:

1. تبدل الواو من الألف، أي أن الألف تكتب واواً للتفخيم وللإشارة إلى أصلها كما في لفظ الصلوة والزكوة والحيوة في جميع القرآن ومثلها الربوا نظراً لتفخيم تركه لكونه قاعدة الأمان ومفتاح التقوى لأنه يشتمل على أنوع للحرام وضروب المفاسد فهو نقيض الزكاة(*).

2. وفي إبدال هاء التأنيث تاء مفتوحة في كلمات كثيرة من القرآن مثل رحمت الله في سبعة مواقع، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]، وفي لفظ النعمة في أحد عشر موضعاً مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[3]، وقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[4]، وفي لفظ السنة في خمسة مواقع، منها قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينِ﴾[5]، وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[6]، وفي لفظ المرأة في سبعة مواقع، منها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ﴾[7]، وقوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾[8].

---

* البرهان للزركشي، جـ1، ص409.
[1] - الآية 56 من سورة الأعراف.
[2] - الآية 32 من الزخرف.
[3] - الآية 34 من سورة إبراهيم.
[4] - الآية 11 من سورة المائدة.
[5] - الآية 38 من سورة الأنفال.
[6] - الآية 43 من سورة فاطر.
[7] - الآية 35 من سورة آل عمران.
[8] - الآية 10 من سورة التحريم.

<u>القاعدة الرابعة:</u> قاعدة الفصل والوصل والمراد بها أن في القرآن كلمتين متجاورتين رسمتا أحياناً متصلتين مراعاة للفظ وفي موضع آخر من القرآن نجدهما رسمتا منفصلتين مثل أن لا رسمت هكذا منفصلة كلمة أن وحدها ولا وحدها في مواضع، ورسمت ألا كلمة واحدة متصلة ومدغمة النون في اللام. ومثلها ألن وأن لن وأمن وأم من وكذلك يوم وهم ظرف وضمير رسمت متصلة يومهم ومنفصلة يوم هم، وغيرها كثير ذكرها الزركشي في البرهان[1]. وفيما يلي بعض الأمثلة كما وردت في القرآن في الحالتين، الوصل أولاً ثم الفصل:

1- قال الله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[2]، وقال: ﴿أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾[3].

2- قال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[4]، وقال: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[5].

3- وقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6]، وقال: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾[7].

4- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[8]، وقال:﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾[9].

5- وقال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾[10]، وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

---

[1] - جـ 1، ص417.
[2] - الآية 31 من سورة النمل.
[3] -الآية 105 من سورة الأعراف.
[4] - الآية 3 من سورة القيامة.
[5] - الآية 7 من سورة التغابن.
[6] - الآية 22 من سورة الملك.
[7] - الآية 109 من سورة النساء.
[8] -الآية 83 من سورة الزخرف.
[9] - الاية 16 من سورة غافر.
[10] - الاية 78 من سورة النساء.

كُنتُمْ﴾[1]، هذه بعض الأمثلة، فمن أراد المزيد، عليه بالرجوع إلى البرهان وأمثاله.

القاعدة الخامسة: قاعدة القراءتين في الكلمة الواحدة والمراد القراءة غير الشاذة. والكلمة قد رسمت في المصحف العثماني رسماً محتملاً للقراءتين معاً، ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة منتشرة في القرآن منها ما يلي مع التوضيح:-

1- قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ مَـــالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فقد رسمت بدون ألف بعد الميم، فهي محتملة لأن تقرأ ملك بكسر اللام بزنة فعل[2]، وأن تقرأ مالك بزنة فاعل[3]، وقد جاءت القراءة بهما في السبع.

2- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[4]، فإنها قرئت بفتح الخاء ومدها على صيغة المفاعلة[5]، وقرأت بإسكان الخاء على صيغة المضارع[6].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَتِ آمِنُونَ﴾ قرئت بمدّ الفاء جمع غرفة وقرئت بدون مد على الإفراد[7]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾[8].

وأما القراءتان المختلفتان في الرسم وهما مشهورتان، مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾[9] وفي القراءة الأخرى: ﴿ وَأَوصَّى﴾، وقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ في التوبة[10]، وفي القراءة الأخرى تجري من تحتها الأنهار من الآية نفسها،

---

1 - الآية 4 من سورة الحديد.

2 - وهي قراءة نافع المدني.

3 - وهي قراءة حفص عن عاصم.

4 - الآية 8 من سورة البقرة.

5 - وهي قراءة نافع المدني.

6 - وهي قراءة حفص عن عاصم.

7 - قراءة حمزة بالإفراد وغيره بالجمع.

8 - بالجمع المدني، والشامي وغيرهم بالإفراد، الآية 6 من سورة فصلت.

9 - الآية 131 من سورة البقرة بالتشديد، قرأ حفص وبالهمزة قرأ نافع.

10 - الآية 101 من سورة التوبة بدون (من) قرأ نافع، وبإثباتها قرأ حفص.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وفي القراءة الأخرى وما عملته أيديهم [1].

فهذه الآيات وأمثالها كتبت في المصاحف العثمانية، كما قرئت بمعنى أن كل قراءة كتبت في مصحف غير المصحف الذي كتبت فيه الأخرى فكل من القراءتين موجودة في المصاحف العثمانية. ذكر هذا الإمامان السيوطي والزركشي[2] وأثبته أيضاً الشيخ محمد الزرقاني في المناهل قائلاً: (أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع ورودها بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية[3].

هذه هي أهم قواعد الرسم العثماني التي ذكرها العلماء، إلا أن كثيراً من الكلمات القرآنية المخالفة للرسم الإملائي وللنطق السليم لا تخضع لهذه القواعد وإنما المعول عليه فيها هو الحفظ والنقل عن العلماء والقراء. لذا، آثرت أن أرسم للقارئ نموذجاً يحوي عدداً من الكلمات مرسومة بالرسم العثماني والإملائي حتى يتمكن من معرفة الفرق بين الرسمين.

الكلمة بالرسم العثماني	الكلمة بالرسم الإملائي	وجه المخالفة بينهما
سبحن نجينهم	سبحان نجيناهم	حذف الألف
فاتقون فاطيعون	فاتقوني فاطيعوني	حذف ياء المتكلم من الفعل
لا يستوون فأوا	لا يستوون فأووا	حذف الواو اكتفاءً بأحد المثلين
الضعفؤا تفتؤا	الضعفاء تفتأ	زيادة ألف بعد الهمزة المتطرفة المرسومة واواً

[1] – الآية 35 من سورة يس وهي بالهاء في مصاحف الحرمين والبصرة وبدونها كوفي غير حفص.

[2] الإتقان، جـ2، ص170، والبرهان، جـ1، ص380 وما بعدها حتى 416.

[3] مناهل العرفان، جـ1، ص258.

بأييد بأييكم تلقائي	بأيد بأيكم تلقاء	زيادة الياء
ساوريكم	ساريكم	زيادة الواو بعد الهمزة.
الصلوة الزكوة الحيوة	الصلاة الزكاة الحياة	إبدال الألف واواً للتفخيم
اليل الذين للمثنى	الليل اللذين	حذف إحدى اللامين
رحمت نعمت امرأت	رحمة نعمة امرأة	كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة
ثلث ربع خلئف	ثلاث ورباع وخلائف	حذفت الألف من العدد
سندع ويدع الإنسان	سندعو ويدعو الإنسان	حذفت الواو من الفعل للدلالة على معنى مناسب

جـ- هل الرسم العثماني توقيفي[1] أو اصطلاحي:

من الأمثلة السالفة وغيرها يمكننا معرفة مدى مخالفة الرسم العثماني لما تعارفه الناس من الإملاء، وفهم ما ذكرنا من القواعد يبقى لنا الآن أن ندرك منشأ المخالفة بطرح السؤال التالي فنقول: هل المخالفة المذكورة حصلت بسبب خطإ وقع فيه كتبة المصاحف في عهد الإمام عثمان رضي الله تعالى عنه، أو هي متعمدة لأغراض ومزايا لا تتأتى ولا تتحقق إلا بالرسم العثماني، أو لا هذا ولا ذاك؟

أما الاحتمال الأول، فلم يقل به أحد من العلماء إذ ليس من المعقول أن تقع أخطاء[2] في كتابة المصحف مع المراجعة الدقيقة والمتكررة، زيادة على ما اشتهر به الصحابة رضي الله تعالى عنهم من التثبت والحرص على صحة ما يكتبون من القرآن محافظة منهم على سلامته من التحريف والتبديل. وفيما يلي تفصيل الآراء:-

---

1 - اي واقع بنص من الشارع لا تجوز مخالفته.

2 - هي لا تعتبر أخطاءً في عصرهم قطعا وإن اعتبرها بعض العلماء في العصر الحديث أخطاء، في مقال نشر في مجلة الأزهر، نوفمبر 1960م.

الرأي الأول: للجمهور من العلماء وقد ذهبوا إلى الاحتمال الثاني وهو أنه متعمد لأغراض ومزايا. وقد بيّن العلماء عدداً منها في عدد من الكلمات، وسيأتي بيان بعضها قريباً إن شاء الله[1].

الرأي الثاني: وهو لبعض العلماء يقولون: إن الرسم العثماني اصطلاحي واقع باجتهاد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأن المخالفات الواقعة فيه ليست أخطاء وليست لكل رسم في كل كلمة مزية وغرض يقتضيه، وإنما نشأت هذه المخالفات أو الاختلافات كما تسمى أحياناً من فعل كتبة المصاحف وتواردهم على كتابة المصحف أو المصاحف أثناء الكتابة[2]، مع علمهم التام بأن رسم كل كلمة وكل حرف كتبوه هو صحيح ومستساغ في ذلك الوقت ومطابق كل المطابقة للقواعد الإملائية المعروفة عندهم، إذ لو كان الرسم المخالف لإملائنا خطأ لأصلح عند المراجعة، ولو كان لمزايا لاطرد في جميع الكلمات المتشابهة. والواقع ليس كذلك لوجود كثير من الكلمات رسمت في موضع برسم يخالف رسمها في موضع آخر، كما علمنا في الأمثلة السالفة.

وعلى هذا القول، تجوز مخالفة الرسم العثماني ويكتب القرآن بالإملاء الحديث المتعارف عليه في أي وقت. وممن قال به من العلماء ابن خلدون في مقدمته[3] والقاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار، وقد تحمس له قائلاً: وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود،

---

[1] - وأكثر من توسع في بيانها من العلماء فيما أعلم الإمام الزركشي في البرهان، جـ1، ص380-461.

[2] - الدكتور موسى شاهين لاشين في كتابه اللآلئ الحسان، ص92.

[3] - انظر مقدمة ابن خلدون، ص 419، ط 5، 1982م، دار الرائد العربي، بيروت.

ولا في نص السنة ما يوجب ذلك[1].

وعلى قول الجمهور، وهو أن رسم القرآن توقيفي وقع بإرشاد النبي ﷺ فيكون سنة متبعة لا تجوز مخالفته ولا العدول عنه إلى رسم آخر مهما بلغ من الدقة والضبط، واستدلوا لقولهم بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون عنه التنزيل بحضرته ويقرهم على كتابة ما يكتبون، بل ثبت أنه ﷺ كان يضع لهم الدستور للكتابة، من ذلك قوله لمعاوية بن أبي سفيان (وهو من كتّاب الوحي) " أَلِق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه اذكر لك"[2] ولما جاء عهد أبي بكر وكتب القرآن في صحف على غرار الرسم الأول في العصر النبوي ثم نسخت هذه الصحف في مصاحف بالطريقة السالفة نفسها في عهد عثمان بن عفان، وأجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ما كتبه كل من أبي بكر وعثمان و لم يحصل إنكار من أحد لعملهما، واستمر الحال على هذا في عصر التابعين وتابعيهم من العلماء والأئمة. وإليك ما يؤيده من النقل عن الأئمة:

1- روى الإمام أبو عمرو الداني بسنده عن أشهب (من أصحاب مالك) أن الإمام مالك بن أنس سئل: أرايت من استكتب مصحفاً أترى أن يكتبه على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم. فقال: لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى ثم قال أبو عمرو: "ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة"[3].

2- وقال البيهقي في شعب الإيمان: "من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئاً فإنهم كانوا أكثر

---

[1] - نقله الزرقاني في المناهل عن صاحب الانتصار، جـ1، ص 380.

[2] - جـ 1، ص377، من المناهل للزرقاني، وألق بكسر اللام بمعنى أصلح مداد الدواة، انظر اللسان، جـ1، ص210، والقاموس، جـ3، ص290.

[3] - انظر المقنع لأبي عمرو الداني، ص9-10.

علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة" فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم"[1].

3- وقال الإمام نظام الدين النيسابوري في تفسيره: "واتباع المصحف في هجائه ولحب ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لأنه بالهجاء يتلى، والفائدة للقارئ في معرفته أن يكون على يقين أن الذي يقرأ هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بلا خلل فيه من جهة من الجهات. وقال جماعة من الأئمة: "إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله ﷺ"[2].

4- نقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو غير ذلك[3]. وجاء نحو هذا في فقه الأحناف وعند الشافعية، أن رسم المصحف سنة متبعة[4].

هذا، وبالإضافة إلى هذه الأدلة المنقولة عن الأئمة والعلماء لتأييد مذهب الجمهور، نجد الكاتبين في علوم القرآن قد ذكروا للرسم العثماني فوائد ومزايا تبرر التزامه والأخذ به واحترامه. فيما يلي إجمال لأهمها:

د- فوائد الرسم العثماني ومزاياه:

1- إرشاد الناس وحملهم على عدم الاعتماد في حفظ القرآن الكريم على القراءة في المصحف فحسب، بل المطلوب هو التلقي والأخذ من صدور الحفاظ مشافهة خلفاً

---

1 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص167.
2 - تفسير النيسابوري، جـ1، ص 35.
3 - الإتقان، جـ2، ص167.
4 - انظر مناهل العرفان، جـ1، ص379.

عن سلف حتى تصح الرواية ويتصل السند بالنبي ﷺ[1] فإننا لولا النقل والتلقي لما ممكنا من النطق بفواتح السور المبدوءة بالحروف المقطعة كقوله تعالى: ﴿ الم ذَلِكَ﴾ ﴿ كهيعص﴾ ﴿ المص﴾ ونحوها، ولما استطعنا معرفة كيفية الإشمام والروم والإمالة والقلقلة وغيرها من الأحكام التي تراعى عند القراءة السليمة المجودة.

2- الدلالة بواسطته على القراءتين أو القراءات في الكلمة الواحدة، وذلك لأننا نجد في المصحف الشريف كلمات وحروفاً رسمت رسماً محتملاً لأن تقرأ بقراءتين أو أكثر، مثال ما فيها قراءتان فتبينوا من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2] فإن هذه الكلمة قبل استعمال النقط صالحة لأن تقرأ بقراءة حمزة وعلي وابن مسعود والكسائي (فتثبتوا) بتاء مثناة بعد الفاء ثم تاء مثلثة وبعدها باء موحدة ثم تاء مثناة، وبقراءة نافع وحفص بتاء بعد الفاء ثم باء فياء ونون (فتبينوا) ومنها (ننشرها) كتبت في المصحف العثماني بدون نقاط، من قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[3] فهي صالحة لأن تقرأ بالراء بعد الشين على قراءة نافع (ننشرها) وبالزاي على قراءة حفص (ننشزها). ومثال ما فيه أكثر من قراءتين قوله تعال: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[4] فإنما رسمت في المصحف العثماني هكذا بدون نقط وبدون ألف بعد الهاء والذال وبدون تشديد، وهي على هذا محتملة وصالحة لأن تقرأ بالقراءات التالية الواردة فيها

---

1 - قال ابن حزم الظاهري: نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من كتب اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد - ﷺ - بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً . . انتهى، من الفصل، جـ2، ص82- 83.

2 - الآية 6 من سورة الحجرات.

3 - الآية 259 من سورة البقرة.

4 - الآية 63 من سورة طه.

وكلها رويت بأسانيد صحيحة متواترة:-

أ - أولها قراءة نافع ومن معه بتشديد نون إن وتخفيف نون هاذان هكذا ﴿إن هاذان لساحران﴾.

ب- قراءة ابن كثير بتخفيف نون إن وتشديد نون هذان هكذا: (إن هذان لساحران).

جـ- ثالثها قراءة حفص عن عاصم بتخفيف نون إن ونون هذان هكذا: (إن هذان لساحران).

3- الدلالة بواسطة الرسم على معانٍ مختلفة باختلاف الرسم ويعين الرسم أحدهما والآية محتملة لهما، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أمّن﴾ رسمت في المصحف بالوصل تارة وبالفصل في موضع آخر والمعنى مختلف، أما في حالة الوصل (أمن) فأم هي المتصلة كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، وأما في حالة الفصل (أم من) فأم هي المنقطعة التي هي بمعنى بل، كما في قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾.

4- دلالته على معان دقيقة خفية في جملة من الكلمات في القرآن الكريم، مثل زيادة الياء في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَييدٍ﴾[2] فقد قال العلماء في تفسيرها: إن الياء زيدت في قوله: بأييد للدلالة على عظم قدرة الله تعالى إذ اليد فيها بمعنى القدرة التي لا تساويها قدرة ومثلها دلالة حذف الواو من بعض الأفعال، كما في قوله عز وجل: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ﴾[5]، وقوله: ﴿ سَنَدْعُ

---

1 - الآية 22 من سورة الملك.

2 -الآية 47 من سورة الذاريات.

3 - الآية 24 من سورة الشورى.

4 الآية 6 من سورة القمر.

5 - الآية 11 من سورة الإسراء.

الزَّبَانِيَةَ﴾[1]، فإن حذف الواو من الفعل الأول يدل على سرعة زوال الباطل وسهولة اضمحلاله أمام الحق، ومن الثاني للدلالة على سرعة الإجابة وتلبية النداء، وفي الثالث للدلالة على سهولة وقوع الدعاء بالشر من الإنسان ومسارعته فيه كمسارعته في الدعاء بالخير. وحذفها من الرابع للدلالة على كمال طاعة الزبانية وسرعة تنفيذهم لما يدعون إليه، وعلى قوة بطش الله تعالى بأعدائه. وقد جمع المراكشي رحمه الله تعالى الحكمة من حذف الواو في هذه الأفعال الأربعة في عبارة موجزة، فقال: "والسر في حذفها من هذه الأفعال سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود" أ.هـ[2].

الرأي الثالث: الجمع بين الرأيين السابقين ذكره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في المناهل وقال: إن صاحب التبيان مال إليه ومن قبله صاحب البرهان وأخذ به الشيخ عز الدين بن عبد السلام[3]، قائلاً: يجوز بل تجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات الشائعة المعروفة بينهم خوفاً من الوقوع في التغيير من الجهال[4]، ولكن تجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن السلف الصالح فلا يهمل بالكلية مراعاة لجهل الجاهلين، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض. ثم يقول الزرقاني معلقاً على هذا الرأي: وهو يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين، ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف الذي فيه إبعاد للناس عن اللبس والخلط في القرآن، وناحية إبقاء رسمه المأثور يقرأه العارفون ومن لا

---

1 - الآية 8 من سورة العلق.

2 - انظر مناهل العرفان، جـ1 ص 375.

3 - هو الإمام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، أو عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء، اشتهر بالعز بن عبد السلام، توفي سنة 660هـ بمصر رحمه الله. من الأعلام، جـ4، ص21.

4 - انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ1، ص379.

يُخشى عليهم الالتباس.

ولا شك أن الاحتياط مطلب ديني جليل خصوصاً في جانب حماية التنزيل[1].

هذا، ولقد أحسنت إذاعة القرآن الكريم بالجماهيرية صنعاً حين قامت بطبع مصحف شريف برواية حفص عن عاصم، وأثبتت في هامشه ملخص تفسير الطبري وجعلت في أسفل كل صحيفة منه رسماً إملائياً لكل كلمة مخالفة له في الرسم العثماني المرسوم في الأعلى[2]، وهو عمل جيد سبق أن اقترحته مجلة الأزهر الشريف[3]، وأرى أنها طريقة موفقة إلى حد بعيد ومفيدة بالنسبة لمن يقرأ القرآن من المصحف، وخصوصاً من كان من المبتدئين ويا حبذا لو طبع على غراره مصحف آخر برواية قالون عن نافع[4].

الراجح من هذه الآراء:

أرى أن الذي ينبغي ترجيحه منها هو الأول، وهو قول الجمهور من العلماء لما قدمت من مزايا وخصائص، ويضاف إليها ما يلي:

1- إن الاصطلاحات الإملائية الحديثة عرضة للتغيير والتبديل والتعديل، .ومن تقديس القرآن الكريم واحترامه حمايته من التغيير والتبديل ولو في الرسم والخط.

---

[1] - مناهل العرفان، جـ1 ص 386.

[2] - طبع هذا المصحف بتاريخ 10 من رجب 1390و. ر، الموافق 1981/5/10م، بمقدمة للأخ محمد أحمد المشري مدير الإذاعة المذكورة، وبمراجعة الأستاذين مصطفى أحمد قشقش وحسين فرج أبي جازية.

[3] - انظر مباحث من علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ص 280.

[4] - قرأت بعد كتابة هذا المبحث مقالاً للأستاذ محمد رجب البيومي في مجلة الأزهر الشريف يؤيد فيه كتابة المصحف بالرسم الإملائي الحديث مبرراً له بعدة مبررات، منها ما ذكر أعلاه وزاد عليها قياسه على التغييرات السالفة التي أحدثها المسلمون في المصحف من الشكل والنقط، وكتابة أسماء السور والتجزئة، ونحو ذلك... انتهى، من المجلد 32 من مجلة الأزهر [illegible] نوفمبر 1960م.

2- إن إخضاع المصحف للمصطلحات الحديثة ربما يجر إلى فتنة شبيهة بتلك التي حدثت في عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فيقال رسمي خير من رسمك، ومصحفي خير من مصحفك، أو يقال: رسمي صحيح وصواب ورسمك باطل وخطا.

3- إن الرسم العثماني هو: الرسم الذي يجمع الأمة على طريقة واحدة وخط موحد يلتزمونه عند كتابة المصاحف في جميع الأعصار والأمصار كاللغة العربية الفصحى، من شأنه آن يكون له الأثر البالغ في وحدة الأمة ولّم شتاتها وتضامنها، وأمر هذا شأنه لا ينبغي لنا أن نفرط فيه أو نتهاون في الأخذ به والتزامه[1].

هـ- الحكمة في التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف

مما تقدم في النقطة السابقة والتي قبلها (ج ، د) يستطيع القارئ أن يفهم هذه الحكمة، أما على قول الجمهور فالأمر ظاهر إذ التزام الرسم المذكور عندهم واجب لكونه توقيفياً واقعاً بنص وإرشاد من النبي ﷺ، ولما له من الفوائد والمزايا التي لا تتحقق إلا به ولو لم نلتزمه وجوزنا كتابة المصحف بالإملاء الحديث وهو عرضة للتبديل والتغيير لتطرق هذا الوصف إلى القرآن نفسه. ومن تقديس القرآن واحترامه صيانته عن التبديل والتغيير ولو في الرسم والخط كما تقدم قريباً، أما على القول الثاني فالحكمة من التزام الرسم العثماني هي المحافظة على أثر جليل من الآثار الإسلامية الخالدة، كما أسلفنا في الجمع.

و- إعجام المصحف الشريف، نقطه وشكله

معناه لغة واستعمالاً: ورد في كتب اللغة: أن الشكل والنقط إذا أضيفا إلى الكتاب يقال لكل منهما إعجام بمعنى أنهما يزيلان إعجامه وإبهامه وما فيه من إشكال

---

[1] - انظر المناهل للزرقاني، جـ1، ص398.

وغموض فيصير المكتوب عند استعمالهما واضحاً لا لبس ولا خفاء فيه، فالهمزة في الإعجام للسلب أي إزالة العجمة عنه، تقول شكوت إليه فأشكاني - أي أزال شكواي- قال صاحب القاموس المحيط: "وأعجم فلان الكلام ذهب به إلى العجمة والكتاب نقطة كعجمة وعجّمة"[1] وقال في موضع آخر: "نقط الحرف ونقطه أعجمه"[2].

وشاع استعمال كل من الشكل والنقط فيما يعرض للحروف من حركة أو سكون أو علامات لتمييز المتشابه منها بعضه عن بعض.

هذا، وقد عرفنا في القسم الأول من هذا الكتاب أن العرب في أول أمرهم - قبل الإسلام- كانوا لا يعرفون الكتابة إلا أفراداً قلائل[3]، فضلاً عن الشكل والنقط. ولذا، كانت مصاحف عثمان - رضي الله تعالى عنه- خالية من الشكل والنقط، والصحيح أن أول عهد العرب بهما كان في صدر الإسلام أواخر عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[4]، أي بعد سنة 45 من الهجرة حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس من جميع الأجناس في دين الله أفواجاً وقت اتساع الفتوحات الإسلامية، فأدى هذا إلى

---

1 -جـ4، ص149.

2 - جـ3، ص204.

3 - الأفراد الذين تعلموا الكتابة كانوا من قريش أخذوها عن حرب بن أمية بن عبد شمس، الذي تعلمها من عبد الله بن جدعان، الذي نقل الخط عن أهل الأنبار وهم أخذوه عن اليمنيين. انتهى ملخصاً من المقنع لأبي عمرو الداني، ص9، ومن تاريخ القرآن للزنجاني، ص 25 وما بعدها.

4 - من العلماء من يرى أن الإعجام بمعنى نقط الحروف لتتميز عن بعضها موجود قبل الإسلام، ومنهم الأستاذ أبو عبد الله الزنجاني، فقد قال في كتابه تاريخ القرآن والتحقيق يفيد أنه - أي الإعجام- بالمعنى المذكور، كان قبل الإسلام لأنه عثر على كتابات قديمة محررة قبل خلافة عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف.. ثم يقول: ولكنهم تساهلوا فيه شيئاً فشيئاً حتى تنوسي ولم يبق منه إلا النادر. هـ. ص 89، من تاريخ القرآن. وأيضاً هناك رواية أخذ بها ابن الجزري تذكر أن العرب كانوا يعرفون الإعجام في عهد نزول الوحي وتركه الصحابة في كتابة المصحف عمداً ليدل الخط على الروايات القرآنية المتعددة... انتهى. من تاريخ القرآن للأستاذ شاهين.

اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية فظهر الفساد في اللغة الفصحى، وحدثت عدة حوادث من اللحن بين الفصحاء نبهت أولي الأمر إلى النهوض لحفظ كتاب الله تعالى من تسرب اللحن إليه فطلب زياد بن أبيه وابن سمية - وكان والياً على البصرة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان – من أبي الأسود الدؤلي[1] أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة وقال له: إن هذه الحمراء[2] قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب ربهم فأبى أبو الأسود أولاً لبعض أسباب كان يراها، فأمر زياد رجلاً أن يقعد في طريق أبي الأسود فلما قاربه رفع صوته بالقراءة كأنه لا يقصد إسماع أبي الأسود، وقرأ: "إن الله بريء من المشركين ورسوله (بكسر اللام) من لفظ رسول، فأعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من حينه إلى زياد وقال له: لقد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث لي كاتباً، فبعث إليه زياد ثلاثين كاتباً فاختار منهم واحداً من عبد القيس وقال له خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين الحرف وإن تبعت شيئاً من هذه الحروف غنة فانقط نقطتين[*] وأخذ يقرأ القرآن بالتأني والكاتب يضع النقط، وكلما أتم صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله وجرى الناس على طريقته[3].

---

1 - نسب أبو الأسود إلى دؤل بطن من كنانة واسمه ظالم بن عمرو، وهو من كبار التابعين سكن البصرة من أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وتولى بعض الأعمال للإمام علي بن أبي طالب، ويعد من أعلم الناس في عصره بكلام العرب، وهو واضع علم النحو بإشارة من الإمام علي رضي الله عنه، توفي سنة 69هـ.

2 - لعله يقصد من الحمراء العجم وصفوا بها لغالبية هذا اللون عليهم.

• - النقطتان للسكون.

3 - من كتاب تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني، ص87-88، والمقنع لابن عمرو الداني، ص24.

وبعد فترة من الزمن احتاج الناس إلى تمييز الحروف[1] المتشابهة في الصورة بعضها عن بعض مثل الباء والتاء والثاء والياء والجيم والحاء والخاء والدال والذال اخترعوا النقط المعروف حالياً فجعلوه نقطة واثنتين وثلاثاً، ولأجل التفرقة بينه وبين الشكل السالف الذكر، وهو بالنقط أيضاً، طوروا الشكل وكان على يد الخليل بن أحمد فسحبوا النقطة الدالة على كل من الفتحة والكسرة حتى صارتا شرطتين وجعلوا نقطة الضم واواً صغيرة وأكملوا نقطتي السكون دائرة كاملة، وقد تم نقط الحروف على يد لجنة مكونة من: نصر ابن عاصم الليثي[2]، ويحيى بن يعمر العدواني [3]، والحسن البصري[4] بإشارة من الحجاج ابن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان الأموي.

حكم استعمال الإعجام – الشكل والنقط في المصحف

في أول الأمر حين اخترع كل من الشكل والنقط كره بعض الصحابة وبعض التابعين استعمالهما في كتابة المصحف الشريف مبالغة منهم في المحافظة على كتاب الله تعالى وصيانته من التغيير والزيادة على مرسوم الإمام عثمان رضي الله تعالى عنه ومن

---

1 – يروى أن المسلمين من العجم حين يريدون القراءة من المصحف في ذلك الوقت كانوا لا يعرفون مثلا قوله تعالى ﴿ ننشرها ﴾ هل هي بالراء المهملة أو بالزاى وقوله تعالى ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ بالفاء أو لمن خلقك بالقاف، وبالتالي كثر التصحيف في العراق، ففزع الحجاج أميره إلى كتابه وأمرهم بوضع النقط لتمييز الحروف المتشابهة... انتهى. من تاريخ القرآن للزنجاني، ص89–90.

2 – هو أحد قراء البصرة، أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء القارئ، توفي سنة 89هـ.

3 – من مواليد البصرة سنة 45هـ، أخذ عن ابن عباس وابن عمر الصحابيين، تولى القضاء وتتلمذ على أبي الأسود الدؤلي، توفي سنة 118هـ.

4 – هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري والمجمع على جلالته وتقدمه في كل فن، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، توفي سنة 110هـ، انتهى من تهذيب الأسماء واللغات [illegible] ص 162.

هؤلاء سيدنا عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر من الصحابة والشعبي والنخعي من التابعين، وأما بعد عصر الصحابة فقد جوز استعمالهما في كتابة المصاحف الأئمة والعلماء بعد أن أمن التغيير الذي خشيه الصحابة بل أصبح التغيير وعدم الضبط في أداء القرآن كامنين في ترك الشكل والنقط نظراً لما لهما من الفضل الكبير في المحافظة على النطق الصحيح والضبط لألفاظ القرآن الكريم فحلّ القول باستحبابهما أو وجوبهما محل القول بكراهتهما، غير أن البعض من العلماء استحسن أن يكون الشكل والنقط بمداد مخالف للمداد الذي كتب به المصحف[1].

وفيما يلي ذكر أقوال بعض من قال بجواز الشكل والنقط في كتابة المصحف:

1- الإمام مالك بن أنس: روى عن ابن وهب من أصحابه قال: "سمعت مالكاً يقول أما هذه الصغار التي يتعلم فيها الصبيان فلا بأس بذلك فيها، وأما الأمهات فلا أرى ذلك فيها"[2].

2- وقال أبو عمرو الداني: "والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك في الأمهات وغيرها"[3].

3- وجاء في التبيان للإمام أبي زكريا النووي ما نصه: "ويستحبّ نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصفية، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه وقد أمن ذلك اليوم فلا يمنع من ذلك لكونه محدثاً فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك، والله أعلم"[4].

---

1 - انظر المقنع لأبي عمرو الداني، ص 125 من كتابه النقط.

2 - المراد من الصغار قصار السور التي يتعلمها الصبيان أولا في الكتاب، والمراد من الأمهات الطوال من السور.

3 - انظر، المقنع لأبي عمرو الداني، ص 125 من كتابه النقط.

4 - مناهل العرفان، جـ1، ص409.

المصاحف في دور التحسين والإتقان:

لقد وصلت كتابة المصاحف اليوم إلى الذروة في التحسين، والغاية في الدقة والإتقان وأدخلت عليها تحسينات مادية ومعنوية كتجويد الخط والتجليد وكتجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً[1]، وتقسيم الجزء إلى قسمين كل منهما يسمى حزباً، وقسم الحزب أربعة أرباع، والربع قسمين كل منهما يسمى ثمناً ووضعت علامات في المصحف لكل هذه التجزئة ووضعت علامات أيضاً للوقف بأنواعه الخمسة أو الستة[2]، وجعلت أرقام عند نهاية كل آية لكل سورة على حدة، وأحياناً توجد علامات لنهاية كل آية بدون رقم، وكتبوا في أول كل سورة اسمها ورقمها في ترتيب المصحف، ومكية أو مدنية باعتبار أغلب ما فيها من آيات أو باعتبار فاتحتها، وترتيبها في الترول في بعض المصاحف والحكم في هذا كله قيل هو مكروه وقيل جائز بدون كراهة.

وهو في جملته يدل دلالة واضحة على اهتمام المسلمين وعنايتهم بكتاب ربهم عناية تامة لم يحظ بها كتاب قبله.

ومما لا شك فيه أنه واقع بتوفيق من الله تعالى مصداقاً لقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3]، صدق الله العظيم، في قوله وأنجز وعده، فله الحمد كله.

---

1 - لعل الحكمة في تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً تسهيل قراءته في شهر، كما ورد عن النبي ﷺ الإشارة بهذا، وقد تم طبع هذه الأجزاء، كل جزء في سفر مستقل، وهو أسهل في القراءة لخفته، ويسمى المجموع من الأجزاء كلها ربعة.

2- أنوع الوقف هي اللازم، والممنوع، والجائز مستوى الطرفين، والجائز والوقف أولى والجائز والوصل أولى وعلاماته على الترتيب كما يلي: م - لا - ج - قلى - صلى - وبقي الوقف المتعانق وعلامته هكذا: ∴. وقد درج كتاب المصاحف في الجماهيرية برواية قالون عن نافع على أن يجعلوا علامات الوقف موحدة هكذا، صه توضع على آخر الكلمة المطلوب الوقف عليها. وخصوها بالجائز واللازم، وأما الممنوع فليس له علامة عندهم وهي طريقة حسنة سهلة التطبيق على القارئ.

3-- الآية 9 من سورة الحجر.

الأسئلة

س1- ما معنى الرسم القرآني لغة؟ ولماذا نسب إلى سيدنا عثمان بن عفان؟ فقيل: الرسم العثماني مبيناً المراد به بعد هذه النسبة ومدى أهميته وعناية العلماء به؟ وما الفرق بينه وبين الرسم الإملائي الحديث؟

س2- للرسم العثماني قواعد خاصة التزم في كتابة المصاحف من أجلها، اذكر هذه القواعد بجملة أولاً ثم فصلها مبيناً أقسامها أو مواضعها، والتمثيل لها بأمثلة متنوعة؟

س3- من المعلوم أن الرسم العثماني مخالف للرسم الإملائي الحديث، فما منشأ هذه المخالفة؟ وهل هي خطأ وقع فيه كتبة المصاحف العثمانية أو متعمد لأغراض ومزايا، أو لا هذا ولا ذاك؟ فصل آراء العلماء في هذه المسألة؟

س4- هل الرسم العثماني المتبع في كتابة المصاحف توقيفي أو اجتهادي؟ اذكر خلاف العلماء فيه ودليل كل قول وأرجحها ودليل ترجيحه ؟ ثم اذكر فوائد الرسم العثماني ومزاياه التي التزم من أجلها في كتابة المصاحف؟ وهل تجوز كتابة القرآن بالإملاء الحديث مبيناً من قال بالجواز من العلماء؟

س5- بين معنى الإعجام لغة واستعمالاً؟ ومتى تم اختراع الشكل والنقط للحروف؟ وأيهما اخترع أولاً؟ ثم اذكر من أمر باستعماله من الولاة وسببه، ومن تم على يديه هذا الاختراع من العلماء؟ وما الحكم الشرعي في استعمال الإعجام في كتابة المصاحف، ثم تحدث عما تم للمصاحف القرآنية من إتقان وتحسين وعناية من المسلمين بكتاب ربهم القرآن الكريم.

المبحث الثاني

المحكم والمتشابه

من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

أهمية المبحث ومجمل نقاطه:-

هذا المبحث من المباحث التي كثر فيها كلام العلماء وتشعبت آراؤهم حولها حتى أن الطالب إذا أراد قراءته في أمهات المراجع لا يستطيع الحصول على غايته من الفهم والاستيعاب، وما ذلك إلا من كثرة الخلاف وتعدد الآراء والأخذ والرد بين أصحابها، وهو أيضاً له أهمية عظيمة إذ أنه يعطي الطالب فكرة عن المتشابه من الكتاب العزيز في الصفات وغيرها، ويفتح أمامه باب البحث النزيه والمناقشة الجادة المفيدة وبالتالي يسهل عليه فهمها فهماً صحيحاً موافقاً لما درج عليه السلف من علماء الأمة الإسلامية وارتضاه خلفهم من المفسرين وغيرهم، وهو يشتمل على النقاط التالية:-

1- تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه لغة وعرفاً وخلاف العلماء فيه باختصار وذكر أمثلة من القرآن لكل منهما.

2- حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم وهل هو مفهوم المعنى أو لا.

3- أنوع المتشابه ورأي السلف والخلف في المتشابه من القرآن في صفات البارئ عز وجل.

4- عرض نماذج من الآيات المتشابهة مع توضيح معانيها على الرأيين.

5- موهم الاختلاف والتناقض من القرآن - معناه وأمثلته.

وفيما يلي تفصيل ما ذكر:

أ – معنى المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً:–

أما المحكم لغة فهو: مأخوذ من الإحكام الذي هو في الأصل الإتقان والتوثيق، قال صاحب القاموس: أحكم فلان الأمر أي أتقنه ومنعه من الفساد وتطرق الخلل إليه[1]. ويطلق الإحكام ويراد به المنع من حكمت الدابة وأحكمتها بمعنى منعتها من الانطلاق، ومنه الحكمة لأنها تمنع صاحبها عما لا يليق، ومنه الحكم والحاكم لأن الأول يفصل بين الخصمين والثاني يمنع الظالم من ممارسة الظلم.

وأما المتشابه فهو: مأخوذ من التشابه بمعنى المشاركة والمماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس غالباً[2]، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[3] وقوله: ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾[4] ويقال اشتبه الأمران وتشابها إذا تماثلا والتبس أحدهما بالآخر فتحصل أن للإحكام معنيين لغة وهما المنع والإتقان، وكذلك التشابه فإنه يطلق على التماثل والالتباس، وعلى هذا فيحمل كل من الوصفين عند ورودهما في القرآن على أحد المعنيين الذي يناسب سياق الآية.

هذا وقد وصف الله تعالى الكتاب العزيز بالإحكام في آية وبالتشابه في آية أخرى وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً في آية ثالثة، قال تعالى في سورة هود عليه السلام: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[5]. وقال في سورة الزمر:

---

1 – القاموس المحيط، جـ4، ص100.

2_مناهل العرفان ج2، ص166.

3_الأية25 من سورة البقرة.

4 – مناهل العرفان، جـ2، ص166.

5 – الأية 25 من سورة البقرة.

4 – الأية 70 من سورة البقرة.

5 – الأية 1 من سورة هود عليه السلام.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[1]. وقال في سورة آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[2].

وبالنظر إلى هذه الآيات فسّر العلماء كلاً من المحكم والمتشابه بما يناسب معناهما اللغوي ويتمشى مع سياق كل آية منهما، قال الزرقاني في المناهل ما ملخصه: ولا تناقض بين هذه الإطلاقات الثلاثة لأن معنى إحكامه كله: أنه منظم رصين متقن لا يتطرق إليه خلل لفظي ولا معنوي ومعنى كونه كله متشابهاً: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإتقان، وبلوغ أعلى مراتب الإعجاز في ألفاظه ومعانيه.

1. وأما كون بعضه محكماً والبعض الآخر متشابهاً فمنعاه: أن من القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الله منه، ومنه ما خفيت دلالته عل مراده تعالى منه، فالأول هو المحكم والثاني هو المتشابه[3]. وهذا التفسير الأخير للمحكم والمتشابه هو الذي ينبغي أن يكون المعنى الاصطلاحي لهما وهو موضوع الكلام في هذا المبحث، علماً بأنه ليس محل اتفاق بين العلماء كما تقدم، وفيما يلي بيان لأهم الآراء في بيان معناهما إضافة إلى المعنى المذكور.
2. إن المحكم ما كانت دلالته على المراد منه راجحة وهو المعروف عند علماء الأصول بالنص أو الظاهر، والمتشابه ما كانت دلالته على المراد منه غير راجحة، وهو المعروف

---

1 - الآية 23 من سورة الزمر.

2 - الآية 7 من سورة آل عمران.

3 - مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، جـ2، ص 271.

عند الأصوليين بالمجمل والمشكل والمؤول، وهو منقول عن الإمام الفخر الرازي، وقال بما يقرب منه الطيبي[1].

3. إن المحكم ما عرف مراد الله منه ولو بالتأويل، والمتشابه ما لم يعرف ذلك منه ولو بوجه، مثل وقت قيام الساعة، وخروج الدابة، ومعاني الحروف المقطعة في فواتح بعض السور عند بعض العلماء وهو منسوب إلى أهل السنة.
4. إن المحكم ما لم ينسخ من القرآن، والمتشابه هو المنسوخ وقد نسبه الراغب في المفردات لقتادة[2] ونسبه الرازي لابن عباس.
5. إن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أكثر من وجه، وهذا مروي عن الإمام الشافعي، وعن الإمام أحمد بن حنبل في رواية عنه.
6. المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان يرده إلى غيره.
7. المحكم: الفرائض والحدود والحلال والحرام والوعد والوعيد وكل ما يجب الإيمان والعمل به، والمتشابه. القصص والأمثال وكل ما يجب الإيمان به ولا يجب العمل به، وهو مروي عن عكرمة ومجاهد من التابعين.

---

1 - قال الفخر الرازي في تفسيره: "إن اللفظ إن جعل موضوعاً للمعنى إما ألا يكون محتملا لغيره أو يكون محتملا. فالأول النص، والثاني إما أن يكون احتماله لأحد المعنيين أو المعاني راجحا ولغيره مرجوحا، وإما أن يكون احتماله لهما أولها بالسوية واللفظ بالنسبة للمعنى الراجح يسمى ظاهرا، وبالنسبة للمعنى المرجوح يسمّى مؤولاً، وبالنسبة لأحد المعنيين أو المعاني المتساوية على التعيين مجملا، وقد يسمى مشكلا إذا كان معناه الراجح باطلا والمرجوح حقا" انتهى. مناهل العرفان للزرقاني، جـ2، ص 271.

2 - المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني، ص 255.

أرجح الآراء وأقربها إلى الصواب:

رجح الشيخ محمد الزرقاني الثاني من هذه الآراء وهو المنقول عن الفخر الرازي فقال: "نحن إذا نظرنا إلى هذه الآراء لا نجد بينها تناقضاً ولا تعارضاً بل نلاحظ بينها تشابهاً وتقارباً، بيد أن رأي الرازي أهداها سبيلاً وأوضحها بياناً لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه وإلى عدم وضوحه، وتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية"[1].

وبعد أن علمنا معنى كل من المحكم والمتشابه يحسن أن أذكر للطالب بعض أمثلة لكل منهما أخذاً مما ذكره العلماء في كلامهم عن هذا المبحث:

أ . من أمثلة المحكم الآيات الناسخة والآيات الدالة على الفرائض والحدود والحلال والحرام والوعد والوعيد، قال الله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2].

وقال: ﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[4].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5].

وقال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[6]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

---

[1] – المناهل جـ2، ص 275.
[2] – الآية رقم 144 من سورة البقرة.
[3] – الآية 11 من سورة النساء.
[4] – الآية 43 من سورة البقرة.
[5] – الآية 183 من سورة البقرة.
[6] – الآية 38 من سورة المائدة.

أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾[1]، وقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾[2]، وقال: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[3]. وقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4].

ومن المتشابه فواتح السور المبدوءة بالحروف الهجائية المفردة والآيات المنسوخة والآيات الدالة على صفات البارئ عز وجل، والآيات المشتملة عل وصف أهوال يوم القيامة وأحوال أهل الجنة وأهل النار، فإن العقل البشري لا يمكنه أن يحيط بمعاني الحروف المقطعة في أوائل السور، ولا بحقائق صفاته عز وجل، ولا على تفاصيل نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[6].

وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[7]، وقوله: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[8]، وسيأتي الكلام بالتفصيل على المتشابه في الصفات إن شاء الله تعالى في الفقرة (جـ).

---

1 - الآية 1 من سورة المائدة.
2 - الآية 4 من سورة المائدة.
3 - الآية 25 من سورة البقرة.
4 - الآية 57 من سورة الحج.
5 - الآية 1-2 من سورة البقرة.
6 - الآية 115 من سورة البقرة.
7 - الآية 5 من سورة طه عليه السلام.
8 - الآية 18 من سورة الأنعام.

ب- الحكمة من وجود المتشابه في القران الكريم

وهل هو مفهوم المعنى أو لا

فَهْمُ هذه الحكمة متوقف على الإجابة عن سؤال وهو: هل المتشابه يمكن للناس فهمه وإدراك معناه أو لا؟ بعض الأئمة والعلماء[1] أجابوا بنعم وقالوا: إن العلماء العارفين المتمكنين من العلم والذين يصح أن يقال فيهم إنهم راسخون في العلم يعلمون تأويله وفهم معناه المراد منه، واستدلوا بأدلة منها:

1. أن القرآن أنزله الله تعالى لهداية الخلق إلى الحق والخير في الدنيا والآخرة، وهذا لا يمكن إلا بفهم معناه ومعرفة هداياته وارشاداته، فلو قلنا بعدم إمكان فهم المتشابه لجاز أن يقال: إن بعض آيات القرآن لا يفهم معناها فيكون إنزاله من قبيل العبث وهو محال على الله تعالى.
2. وبما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه دعـــا لابن عباس فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، فلو كان التأويل لا يعلمه إلا الله لما كان للدعاء معنى.
3. بما رواه ابن المنذر عن طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2]، قال أنا ممن يعلم تأويله. وفي رواية أخرى عن مجاهد في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قال يعلمون تأويله ويقولون آمنا به[3].

وعلى هذا القول تكون الحكمة من إنزال المتشابه ما يلي:-

---

[1] - منهم، ابن عباس ومجاهد والشافعية والمعتزلة وابن عطية والنووي.

[2] - الآية 7 من سورة آل عمران.

[3] - انظر اللآلئ الحسان، ص177.

1. إظهار فضل العلماء وإبراز ميزتهم على الجاهلين، إذ أنهم بسبب دراستهم للمتشابه من القرآن يحرصون على الجد والاجتهاد والمثابرة وكثرة المعاناة في سبيل فهمه والوصول إلى المراد منه.

2. لما في المتشابه من الإيجاز والاختصار الذي به يتحقق إعجاز القرآن ويسهل حفظه واستيعابه وتيسر تلاوته ومدارسته والمحافظة عليه، لأن الآيات المتشابهة من القرآن ألفاظ قليلة دالة على معانٍ كثيرة لا تحصى، فلو عُبِّرَ عنها بألفاظ سهلة المنال واضحة الدلالة لأدى هذا إلى كثرة القرآن كثرة لا تتمكن الأمة معها من حفظه والمحافظة عليه.

3. لما فيه من حث العلماء على المزيد من النظر العقلي الموصل إلى العلم والمعرفة، إذ هو ينبه العقول ويحفزها إلى التفكير والتمحيص لتتخلص من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

4. بفضل إنزال المتشابه يضطر المسلم إلى تحصيل علوم كثيرة بها يتمكن من فهمه وإدراك معانيه الدقيقة، مثل علوم النحو والصرف والبلاغة وعلم أصول الفقه وغيرها.

5. في إنزال المتشابه فتح لباب الأجر والمثوبة أمام المسلمين، إذ أن البحث عن الخفي من المعاني والوصول إلى دقائق القرآن من أعظم القرب وأسنى المطالب عند العقلاء.

<u>**الرأي الثاني:**</u> والبعض الأخر من الأئمة والعلماء[1]، أجابوا بلا وقالوا: إن المتشابه من القرآن ما استأثر الله بعلمه ولا يمكن للخلق معرفته ولا يلزمهم البحث عنه، واستدلوا بأدلة منها:-

1- قوله تعالى في آية سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ويجعلون الوقف على لفظ الجلالة وتكون جملة قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي

---

[1] - منهم ابن عمر وابن مسعود وجمهور السلف والحنفية، ورواه أشهب عن مالك واختاره أهل السنة والصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وبه قال جمع من علماء العربية.

﴿الْعِلْمِ..﴾ الآية مستأنفة، وأما على القول الأول يتعين عطف قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على لفظ الجلالة وجملة قوله:﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ في محل نصب حال من الراسخين.

2- بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه (وان تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) فعلى هذه القراءة لا يمكن عطف (الراسخون) على لفظ الجلالة لاختلافهما في الحركات، إذ الأول مجرور والثاني مرفوع، فالواو للاستئناف قطعاً ومثلها قراءة ابن عباس "وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به" وهاتان القراءتان وإن لم تثبت القراءة بهما إلا أنهما لا يخرجان عن كونهما خبراً صحيحاً يمكن الاستدلال به في التفسير[1].

3- بما دلت عليه الآية من ذمّ المتبعين للمتشابه ووصفهم بالزيغ، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وبما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ... ﴾ إلى قوله ﴿ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ ثم قالت: قال رسول الله ﷺ: ((فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم))[2].

وعلى الرأي الثاني، تكون الحكمة من إنزال المتشابه هو الابتلاء والاختبار أيؤمن البشر بالمتشابه؟ ويعترفون بأنه من عند الله ثقة بإخبار الصادق ﷺ فالمهتدون يفوضون علمه إلى الله تعالى ويقولون آمنا به كل من عند ربنا وإن لم يعرفوا معناه، والزائغون عن الحق يتبعون المتشابه إرادة الفتة بتأويله على غير وجهه وحمله على معنى باطل مع أن تأويله وعلمه خاص بالمولى عز وجل لا أحد سواه، قال بعض العارفين: إن العقل مبتلى باعتقاد أحقية المتشابه كابتلاء البدن بالعبادة حتى يظهر عجز عقل الإنسان وجهله، فلا يفتخر

---

1 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص3.

2 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص3.

ويتعاظم مهما غزر علمه وقوى فهمه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] وهذه الحكمة يمكن أن نعتبرها من الشواهد الدالة على قدرة الله تعالى الخارقة التي لا تدانيها قدرة وعلمه المحيط الشامل فهو تعالى وحـــده الذي أحـــاط بكل شيء علماً والخلق جميعاً عباده لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، فعند ذلك يخضع العبد ويتطامن ويقول ما قالت الملائكة قديماً: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

هذا ومما ينبغي أن يعلم أن الحكمة يمكن عرضها بطريقة أخرى، وهي أن يقال إن إحدى الحكمتين منظور فيها إلى نوع من المتشابه غير النوع المنظور إليه بالنسبة للحكمة الأخرى. فالحكمة المذكورة في القول الأول يمكن اعتبارها بالنسبة للقسم من المتشابه الذي خفي معناه أو احتمل عدة معان، فيمكن لمن لهم دراية واسعة بعلوم الدين والعربية أن يتوصلوا إلى فهمه. والمقصود منه والحكمة في القول الثاني تعتبر بالنســـبة للقســـم الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولا سبيل لأحد من الخلق إلى الاطلاع عليه كوقت الساعة، وخروج الدابة، ومعاني الحروف المقطعة في أوائل السور، وآيات الصفات الموهمة لتشبيه الله بخلقه، ونحو ذلك[3].

وبناءً على هذا التقسيم للمتشابه يمكن أيضاً التوفيق بين الرأيين بأن نقول: إن أصحاب الرأي الثاني الذين قالوا: إن المتشابه لا يعلمه إلا الله نظروا إلى قسم منه غير القسم الذي نظر إليه أصحاب الرأي الأول، فالأولون نظروا إلى النوع الذي استأثر الله

---

1 - الآية 85 من سورة الإسراء.

2 - الآية 32 من سورة البقرة.

3 - قال الراغب الأصفهاني: جميع المتشابه على ثلاثة أضرب، ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة، وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، انتهى. ص 255.

بعلمه من الأشياء المتقدمة، والآخرون نظروا إلى ما خفي معناه أو احتمل عدة معانٍ، وعلى هذا فالنفي والإثبات غير واردين على شيء واحد فلا يكون بين الرأيين تناقض واختلاف حقيقي، فيكون الخلاف لفظياً على هذا الاعتبار.

ومن جهة أخرى، فإنا إذا نظرنا إلى لفظ التأويل المذكور في آية آل عمران علمنا أن نفي العلم وإثباته على الرأيين منصب عليه، وإذا رجعنا إلى تفسيره وتعريفه عند العلماء، نجد أنه لا يخرج عن ثلاثة معانٍ، وهو:

1- التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه ويتضح المقصود به.

2- التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات العلية، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وهكذا.

3- التأويل بمعنى صرف اللفـــظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

وعلى هذا، فالتأويل المثبت العلم به من قبل العلماء الراسخين عند أصحاب المذهب الأول، إنما هو التأويل بالمعنى الأول الذي هو التفسير وفهم المعنى بقدر الاستطاعة البشرية لا غير.

وأما المنفي العلم به عند أصحاب المذهب الثاني، فالمقصود منه حقيقة الشيء وواقعه وهو مما لا يعلمه إلا الله الذي أحاط بكل شيء علماً؛ ومن هنا يتضح أنه لا منافاة

بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع للاختلاف في معنى التأويل كما رأينا، والله أعلم بالصواب[1].

جـ- أنوع المتشابه، ورأي السلف والخلف في متشابه الصفات

علمنا فيما سلف أن المتشابه قسمان: قسم استأثر الله بعلمه، وقسم خفي معناه أو احتمل عدة معان. هذا بالنظر إلى معناه، وأما بالنظر إلى الآيات المتشابهات فقد قسم إلى متشابه من جهة اللفظ، ومتشابه من جهة المعنى، ومتشابه من جهتهما معاً[2]. مثال الأول في المفردات قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾[3]، وفي الجمل قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾[4]. تقديره أنزل على عبده الكتاب قيماً و لم يجعل له عوجاً. ومثال الثاني: الآيات الدالة على أوصاف الله تعالى وعلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[5]، وقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6].

ومثال الثالث، قوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[7]، ويدخل تحت القسم الأخير خمسة أضرب[*]، إلا أن العلماء أكثر ما يعنون بالمتشابه متشابه الصفات ويخصون كلامهم به، لذا فإني سأقتصر عليه هنا.

---

1 - انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص219.

2 - ذكرها الإمام الراغب الاصفهاني في المفردات في غريب القرآن، ص256.

3 - الآية 31 من سورة عبس.

4 - الآية 1 من سورة الكهف.

5 - الآية 88 من سورة القصص.

6 - الآية 17 من سورة السجدة.

7 - الآية 5 من سورة التوبة.

(*) - ذكرها الراغب في المفردات، ص255.

رأي السلف والخلف في متشابه الصفات

متشابه الصفات يتناول كل آية توهم بظاهرها وصف الله تعالى بصفات الحوادث، وهي كثيرة في القرآن الكريم. وقبل ذكرها وبيان الآراء فيها ينبغي أن نعرف أن العلماء جميعاً - سلفهم وخلفهم - اتفقوا على أمرين:-

أولهما: أن الآيات الموهمة لتشبيه الله بخلقه لا بد من صرفها عن ظاهرها المستحيل على الله لكونه باطلاً معارضاً للأدلة القطعية المحكمة.

ثانيهما: أن المتشابه إذا كان له تأويل واحد وجب المصير إليه إجماعاً كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعاً وليس بعد ذلك إلا تأويل واحد وهو الكينونة معهم بالإحاطة بالسمع والبصر والعلم، ثم إنهم اختلفوا فيما عدا هذين الأمرين إلى ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب السلف[1]، ويسمون أحياناً المفوضة لأنهم يفوضون فَهْم معانيها إلى الله تعالى بعد اعتقادهم تنزيهه عن ظاهرها المستحيل عليه تعالى، واستدلوا بدليلين: على ما ذهبوا إليه من التفويض المذكور.

أحدهما عقلي، وهو أن تعيين المراد من الآيات المتشابهة إنما يجري على قوانين اللغة واستعمالات العرب، وهذه أمور ظنية لا تعارض القطعي الذي نصت عليه المحكمات[2] صراحة.

ثانيهما نقلي، وهو مروي عن الصحابة والتابعين، ومنه:

أ- ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان، والجحود

1 - عصر السلف هو عصر الصحابة والتابعين وبعض أتباع التابعين، وما بعد ذلك فهو عصر الخلف.

2 - انظر مناهل العرفان،جـ2، ص287.

به كفر.

ب- ما روي عن ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك أنه سئل عن الآية السابقة فقال: الإيمان غير مجهول والكيف غير معقول.

جـ- وعن الإمام مالك أنه سئل عن الآية نفسها فقال: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. قال ابن الصلاح في هذا المذهب على هذه الطريقة - يعني التفويض - مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها، واليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها[1].

الثاني:- مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة لأنهم يؤولون الآيات المتشابهة في الصفات، وقد افترق أصحاب هذا المذهب إلى فرقتين:

فرقة ذهبت إلى إثبات صفات لائقة به سبحانه وتعالى عقلاً وشرعاً، وإن لم نعرف نحن حقيقة تلك الصفات وهي صفات زائدة على الصفات المعلومة دل عليها السمع لا العقل فهي صفات سمعية فيحمل الاستواء على إثبات صفة لله تعالى تسمى الاستواء والله أعلم بحقيقتها، ومثل ذلك يقال في اليد والعين وغيرهما، ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري(*).

والفرقة الثانية ذهبت إلى حمل اللفظ إلى أقرب مجاز يصح حيث تعذر استعماله في الحقيقة لأنه ينبغي صرف اللفظ عن مقام الإهمال المؤدي إلى الحيرة، كقولهم: إن المراد من وجه الله ذاته ومن يده قدرته[2]، كما سيأتي في ذكر الأمثلة. ومن هؤلاء ابن برهان[3]،

---

1 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص8.

(*) - فقد روي عنه قوله: إن اليد صفة ورد بها الشرع والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة. انتهى. من الإتقان، جـ2، ص7.

2 - من اللآلئ الحسان، ص185-186.

3 - هو أبو الفتوح أحمد بن علي بن برهان الشافعي أحد علماء الأصول وصاحب كتاب الوسيط والوجيز، توفي سنة 520هـ.

وجماعة من المتأخرين.

المذهب الثالث: قال بالتوسط بين المذهبين السابقين و لم يقل أصحابه بالتفويض المطلق ولا بالتأويل في جميع الآيات، وهذا المذهب هو ما نقله الإمام السيوطي في الإتقان. فقال: وتوسط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه وآمنّا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التتريه، وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[1] فنحمله على حق الله وما يجب له. انتهى[2].

د- عرض نماذج من الآيات المتشابهة في الصفات وبيان رأي السلف والخلف فيها:

الآيات المتشابهة في الصفات نظراً لكثرتها في القرآن قسمت إلى مجموعات حسب ما تدل عليه مما يوهم تشبيه الله بخلقه، وهي كما يلي:

1- الآيات الدالة على استواء الله وجلوسه على العرش، كقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[3].

2- الآيات الدالة على أن لله تعالى وجهاً كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4].

3- الآيات التي تدل على أن لله تعالى يداً، مثل قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[5].

---

1 - الآية 56 من سورة الزمر.

2 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص8.

3 - الآية 4 من سورة طه.

4 -الآية 88 من سورة القصص.

5 - الآية 10 من سورة الفتح.

4- الآيات التي تدل على أن لله عيناً، قال الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ﴾[1].

5- الآيات الدالة على أن لله تعالى ساقاً، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[2].

6- الآيات الدالة على أن لله تعالى نفساً، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

7- الآيات التي تدل على مجيء الله وإتيانه، كقوله تعالى: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4]. وقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[5].

8- الآيات التي تدل على علوّ الله تعالى وفوقيته، مثل قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[6].

9- الآيات الدالة على قرب الله تعالى، كقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾[7].

10- الآيات الدالة على حب الله تعالى وكرهه وغضبه ورضاه وعجبه واستهزائه، ومكره وخداعه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[8]،

---

[1] - الآية 48 من سورة الطور.

[2] - الاية 42 من سورة القلم.

[3] - الآية 28 من سورة آل عمران.

[4] - الآية 22 من سورة الفجر.

[5] - الآية 210 من سورة البقرة.

[6] - الآية 18 من سورة الأنعام.

[7] - الآية 186 من سورة البقرة.

[8] - الآية 31 من سورة آل عمران.

وقال: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[1]، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[4]، وقال: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[5]، وقال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[6].

هذه بعض الأمثلة ذكرتها كنموذج للآيات المتشابهة في الصفات، وفي إمكان القارئ، أخذاً مما تقدم، أن يطبق عليها مذاهب العلماء من الخلف والسلف وغيرهم كما ذكرت، وفيما يلي شرح للآية الأولى كمثال تقاس عليه بقية الآيات:

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾، يتفق السلف والخلف على أن ظاهر الاستواء وهو الجلوس على العرش على الله مستحيل، لأن الأدلة القاطعة المحكمة تنزه الله عن أن يشبهه أحد من خلقه أو يحتاج إلى شيء منه سواء كان مكاناً يحلّ فيه أم غيره، وكذلك اتفقوا على أن الظاهر غير مراد الله قطعاً لأنه تعالى نفى عن نفه المماثلة وأثبت لنفسه الغنى المطلق، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقال: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[7]. ثم اختلفوا في المراد بالاستواء، فقال السلف نحن نؤمن به ونفوض علم حقيقته إلى الله تعالى ورسوله ولا يبحثون عن الكيفية ولا يؤولون كما قال النبي ﷺ: ((إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به))[8].

---

[1] – الآية 8 من سورة البينة.
[2] – الآية 18 من سورة الفتح.
[3] – الآية 9 من سورة النور.
[4] – الآية 54 من سورة آل عمران.
[5] – الآية 15 من سورة البقرة.
[6] – الآية 142 من سورة النساء.
[7] – الآية 15 من سورة فاطر.
[8] – أخرجه ابن مردويه. انظر الإتقان، جـ2، ص3.

وأما الخلف، فإنهم يؤولونها ويحملونها على معنى مجازي مناسب صحيح لغة وشرعاً ويقولون: إن المراد من الاستواء، الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف، هذا عند فرقة منهم. والفرقة الأخرى يقولون: إن المراد من الاستواء إثبات صفة سمعية لا نعلمها على التعين تسمى صفة الاستواء، وهكذا تفسر بقية الآيات ما ذكر منها وما لم يذكر. واليك نبذة في تأويل بعض الآيات على طريقة الخلف[1]:-

يقولون: إن المراد من الوجه بالنسبة لله الذات، ومن اليد القدرة، والعين معناها الرعاية والحفظ، وأن المراد من كشف الساق شدة الأمر وعظمته، والمراد من نفسه تعالى ذاته أو سره، ومن مجيء الله وإتيانه: مجيء أمره أو جنده، ومن فوقيته علوه المعنوي وقهره، ومن قربه تعالى: علمه واستجابته، وأن المراد من حب الله تعالى وكرهه وغضبه ورضاه ونحو ذلك من الأعراض النفسانية لوازمها وغاياتها، وذلك لأن مباديها التيّ هي انفعالات مستحيلة على الله تعالى، وأما نهاياتها وغاياتها فهي جائزة عليه تعالى فتكون هي المرادة من اللفظ. فالغضب مثلاً أوله غليان دم القلب وثورانه الذي ينشأ عنه الانتقام من المغضوب عليه أو إرادة الانتقام، فغليان دم القلب وثورانه مستحيل عليه تعالى لتتزهه عن الجوارح، وأما الانتقام أو إرادته فجائزان عليه فيحمل الغضب عليه في حق المولى عز وجل، وتقاس على الغضب بقية الأوصاف المشابهة له. نقل عن الإمام الفخر الرازي قوله: ((جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات مثاله الغضب، فإن أوله غليان دم القلب وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه. فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء[2] له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل؟ فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار

---

[1] - ولما طريقة السلف فهي ظاهرة، لأنهم يفوضون العلم لله في جميع الآيات.
[2] - كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

النفس)) .. انتهى[1].

هـ- موهم الاختلاف والتناقض من القرآن:

هذه النقطة جعلتها من ضمن مبحث المحكم والمتشابه لشدة شبهها به من جهة أن الآيات الموهمة للاختلاف تجعل القارئ يتوقف عندها محاولاً فهمها ومستفسراً عن معناها كما يفعل عند قراءة المتشابه، وهي أيضاً مهمة بالنسبة لطالب التفسير كأهميته، والمراد منها: الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها اختلاف معناها وتناقضه مع معنى آية أخرى.

وقبل الكلام على الآيات وتفسيرها بما يدفع التناقض والاختلاف عنها، ينبغي أن يعرف القارئ الحقائق التالية:

1- إن مرجع الاختلاف والتناقض الذي يظهر لبعض الناس بين الآيات، إنما هو بسبب جهلهم وعدم معرفتهم بالأساليب العربية، وقلّة بضاعتهم في علم التفسير والبلاغة وعلوم العربية.

2- إن جميع الآيات بعيدة كل البعد عن الاختلاف والتناقض ومترهة عنه قطعاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[2].

3- إن كل كلامين ظاهرهما متناقض، إذا أضفنا إلى أحدهما شيئاً ارتفع التناقض فليس بمتناقضين[3].

---

[1] - نقله الإمام السيوطي في الإتقان، جـ2، ص8.

[2] - الآية رقم 82 من سورة النساء.

[3] - قاله الشيخ أبو بكر الصيرفي في شرحه على رسالة الشافعي. انظر البرهان للزركشي، جـ2، ص53، والإضافة هي مثل أن نضيف إلى أحد المتناقضين أحد المفاعيل أو الحال أو الزمان أو المكان أو نحو ذلك. انظر اللآلئ الحسان، ص190.

هذا وقد ذكر الإمام الزركشي في البرهان أسباباً للاختلاف المتوهم بين الآيات تساعد القارئ على ضبط الآيات وحصرها في مجموعات حتى يتسنى له فهمها والتيقظ للمعاني المناسبة في تفسيرها الذي يرفع عنها التناقض والاختلاف، وفيما يلي ملخص لأهم الأسباب مع التمثيل والتفسير والإيضاح:

أسباب الاختلاف ظاهرياً بين بعض الآيات:

السبب الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وأطوار متعددة مع اتحاد الأصل. ومن أمثلته الآيات الواردة في شأن خلق آدم عليه السلام، فقد ذكر الله تعالى: أنه خلقه من تراب في آية، وفي آية أخرى أنه خلقه من طين لازب، وفي ثالثة أنه خلقه من حمأ مسنون[1]، وفي رابعة أنه خلقه من صلصال كالفخار، فإن هذه الألفاظ الأربعة مختلفة المعاني إلا أنها في الأصل ترجع إلى شيء واحد وهو التراب، وبقية الألفاظ تعتبر تطورات وأحوالاً متعددة له، بمعنى أن المادة التي خلق منها الإنسان مرت بأطوار متعددة، فهي في أول أمرها تراب ثم صارت طيناً لازباً، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً كالفخار. ومثل هذه الآيات قوله تعالى في وصف عصا موس – عليه السلام– ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[2]، وفي آية أخرى ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾[3]، إذ الجان لغة يطلق على الصغير من الحيات، والثعبان يطلق على الكبير منها، وذلك لأن عصا موسى عليه السلام خلقها كخلق الثعبان العظيم، وخفتها وحركتها واهتزازها كاهتزاز الجان وخفته فلا تنافي ولا اختلاف بينهما.

---

1 - اي مصبوب أو منتن.

2 - الأية 32 من سورة الشعراء.

3 - الأية 31 من سورة القصص.

السبب الثاني: اختلاف الموضوع مثل اختلاف موضوع المسؤول عنه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[1]، مع قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3]، مع قوله: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[4]، والجواب أنه لا اختلاف بينهما، إذ السؤال المثبت هو سؤال التعنيف والزجر والإهانة، والسؤال المنفي هو سؤال التلطف والرحمة والإكرام وأجيب بجواب آخر، وهو أن في يوم القيامة مواطن ومواقف متعددة، ففي بعضها يسألون ويناقشون وفي بعضها الآخر لا يكون سؤال ولا مناقشة.

السبب الثالث: اختلاف جهتي الفعل في الكلمتين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[5]، فالفعل أضيف إلى العباد باعتبار جهة الكسب وأسند إلى الله تعالى خلقاً وإيجاداً[6]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[7]، أضيف الفعل إليهم[*] على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير، فنفيُ الفعل بأحد الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى.

السبب الرابع: الاختلاف في الحقيقة والمجاز، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ

---

[1] - الآية 24 من سورة الصافات.

[2] - الآية 39 من سورة الرحمن.

[3] - الآية 92 من سورة الحجر.

[4] - الآية 174 من سورة البقرة.

[5] - الآية 17 من سورة الأنفال.

[6] - قال الإمام ابن جرير الطبري، وهي دليل على أن الله خالق لأفعال العباد لأنه تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك فعل واحد لأنه من الله التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد، ومن الخلق الاكتساب بالقوي.. انتهى، نقله الزركشي في البرهان، جـ2، ص60.

[7] - الآية 17 من سورة الأنفال.

[*] - إذ الآية على تقدير الشرط أي إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم... الآية.

سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾(1)، أي أن حالهم في ذلك اليوم - يوم القيامة - كحال السكارى من شدة الهول وعظم الفزع، وهم في الحقيقة ليسوا سكارى بالخمر المعروفة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(3)، وقوله ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(4).

هذه الأسباب التي ذكرها الإمام الزركشي فيها التعارض بين الآيتين لا من جميع الوجوه، لذا وجدناه ارتفع بتقدير التغاير من جهة أخرى كما علم، وتوجد آيات أخرى يتوهم فيها التعارض لم تذكر في هذه الأسباب، أهمها ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾(5)، وقال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾(6)، وجمع بينها اختلاف الزمن ومواطن يوم القيامة فهم لا يتساءلون في وقت ويتساءلون في وقت آخر، كما روي معناه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

2- قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾(7) وقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾(8). وقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(9). والاستفهام إنكاري في جميع هذه الآيات بمعنى النفي أي لا

1 - الآية 2 من سورة الحج.
2 - الآية 17 من سورة إبراهيم.
3- الآية 8 من سورة البقرة.
4 - الآية 198 من سورة الأعراف.
5 - الآية 101 من سورة المؤمنون.
6 - الآية 27 من سورة الصافات.
7 - الآية 144 من سورة الأنعام.
8 - الآية 57 من سورة الكهف.
9 - الآية 114 من سورة البقرة.

أحد أظلم ممن افترى على الله، ولا أحد أظلم ممن ذكر بآياته فأعرض عنها، ولا أحد أظلم ممن منع مساجد الله. وعلى هذا فهي متعارضة ويرفع التعارض بتخصيص كل موضع بمعنى هو صلته فكأنه قيل: لا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله، لا أحد من المعرضين أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها، لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله.

3- قال الله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[1]، وقال: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[2]، أخبر أولاً أنه لا يقسم به ثم أقسم به والجواب: أن (لا) في الآية الأولى زائدة أو أنها رد لكلام سابق وابتدأ الكلام بأقسم بهذا البلد.. إلى آخـــر الآية[3].

4- قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[4]، وقال لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾[5]. الجواب أنه لا خالق إلا الله حقيقة، والمراد من الخلق المسند إلى عيسى هو مجرد التصوير والتشكيل كهيئة الطير وليس الإيجاد والإنشاء ابتداءً، وعلى أبدع وجه وأكمله، وهو خاص بالله تعالى.

5- وقال الله تعالى: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[6]، وقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[7]، والجواب أن النفي خاص بالدنيا، والإثبات في الآخرة.

6- وقال تعالى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ

---

1 - الآية 1 من سورة البلد.

2 - الآية 1-3 من سورة التين.

3 - سيأتي تفصيلها في مبحث أقسام القرآن.

4 - الآية 62 من سورة الزمر.

5 - الآية 110 من سورة المائدة.

6 - الآية 103 من سورة الأنعام.

7 - الآية 22- 23 من سورة القيامة.

يُنصَرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[2]، وأجيب بأن التضعيف هنا ليس كتضعيف الحسنات، بل هو راجع لتضعيف مرتكباتهم، فكأن لكل مرتكب منها عذاباً يخصه، فالتكثير بحسب كثرة المجترحات (لا) أن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل سياق الآيات[3].

7- وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[4]، مع قوله عز وجل: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾[5]. فالآية الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم، والثانية صريحة في عدم كتمانهم أي حديث. وأجيب بوجهين، الأول: أن في القيامة مواطن عدة في بعضها يقع منهم الكذب وفي بعضها الآخر لا يقع منهم كما تقدم في نظيره، والثاني: أن الكذب يكون بأفواههم وباختيارهم، والصدق يكون من جوارحهم وغصباً عنهم يأمرها الله بالنطق فتنطق.

8- وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[6]، مع قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[7]. والجواب أن المراد من العدل في الآية الأولى هو القسم بين الزوجات في المبيت والنفقة بالسويّة وهو ممكن، والمراد به في الثانية الميل القلبي وهو لا يدخل تحت استطاعة الإنسان، فقد كان الرسول ﷺ يقسم بين زوجاته ويقول: ((اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك)). يعني الميل القلبي، وكان عمر بن الخطاب يقول: اللهم قلبي فلا أملكه وأما

---

1 - الآية 20 من سورة هود.
2 - الآية 40 من سورة الشورى.
3 - الآية 18، 19، 20 من سورة هود.
4 - الآية 23 من سورة الأنعام.
5 - الآية 42 من سورة النساء.
6 - الآية 3 من سورة النساء.
7 - الآية 129 من سورة النساء.

ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل[1].

9- وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾[2]، مع قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[3]، وقوله: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[4]، وجمع بين هذه الآيات بأن التوفي بالنسبة لملك الموت هو الدعاء والأمر فيدعو الأرواح فتجيبه، وأما أعوانه فعليهم القبض والنزع، وأما بالنسبة لله تعالى فهو الذي يخلق الموت، كما قال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾[5].

10- وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[6]، مع قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[7] فالاختلاف فيهما باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[8]، وقوله: ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[9]، وإيثاراً للاختصار أقتصر على هذه الأمثلة لتقاس عليها ما تشبهها من الآيات الموهمة الأخرى[10].

---

1 - البرهان للزركشي، جـ2، ص58.
2 - الآية 61 من سورة الأنعام.
3 - الآية 11 من سورة السجدة.
4 - الآية 42 من سورة الزمر.
5 - الآية 1-2 من سورة الملك.
6 - الآية 4 من سورة المعارج.
7 - الآية 5 من سورة السجدة.
8 - الآية 26 من سورة الفرقان.
9 - الآيتان 9-10 من سورة المدثر.
10 - انظر اللآلئ الحسان، ص196.

الأسئلة

س1- تحدث عن أهمية معرفة المحكم والمتشابه من القرآن؟ وما معنى كل من المحكم والمتشابه في اللغة مبيناً اشتقاقهما وما يدلان عليه من معانٍ وما يشهد لتلك المعاني من آيات القرآن أو كلام أهل اللغة؟ ومعللاً وصف الله تعالى القرآن بالإحكام في آية ووصفه بالتشابه في آية ثانية ووصفه بهما في آية ثالثة؟ حاول التوفيق بين هذه الآيات ببيان معناها؟

س2- بين المعنى الاصطلاحي لكل من المحكم والمتشابه مع ذكر خلاف العلماء وآرائهم في المراد بهما والراجح من الأقوال وأمثلة مختلفة متعددة من القرآن منها المحكم ومنها المتشابه ليظهر المراد؟

س3- ما الحكمة من وجود المتشابه وإنزاله في القرآن مبيناً هل هو مفهوم المعنى أو لا؟ بين الحكمة على الاحتمالين؟ مستعيناً على ذلك بتفسير قوله تعالى: ﴿ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ... الآية ؟

س4- بين أنواع المتشابه من القرآن واذكر رأي السلف والخلف من العلماء في المتشابه في الصفات مع التمثيل بأمثلة متعددة من الآيات المتشابهات لا يقل عن ثمانية واذكر رأي السلف والخلف فيها؟

س5- ما المراد من موهم الاختلاف والتناقض من القرآن مبيناً ما ينبغي أن نعرفه قبل الحكم بالاختلاف أو التناقض بين الآيات من القرآن؟

س6- بين أسباب الاختلاف الظاهري بين بعض الآيات مع التمثيل لكل سبب وبين رفع الاختلاف المتوهم فيها؟ ثم اذكر أمثلة أخرى لا تقل عن ثمانية لآيتين يتوهم بينهما تعارض مبيناً رفع هذا التعارض وإزالته؟

المبحث الثالث

النسخ في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:-

نظراً لطول الكلام في هذا الموضوع، ونظراً لكثرة مَن تناوله من العلماء في العديد من العلوم الإسلامية، رأيت من الخير أن أقدم قبل الكلام فيه مجملاً للنقاط التي سيتناولها وهي المهمة بالنسبة لطالب علوم القرآن، وأرى أنها تمكنه من الإلمام بهذا الموضوع الخطير والقيم في الوقت نفسه، وفيما يلي المجمل:

أولاً: أهمية المبحث وقيمته العلمية.

ثانياً: التعريف بالنسخ، وفيه:

أ- معناه لغة واصطلاحاً وشرح التعريف.

ب- بيان شروطه وتحديد موضوعه.

ج- بيان الفرق بينه وبين ما يشبهه من البداء والتخصيص.

ثالثاً: حكمه وحكمته، أما حكمه فمن حيث الجواز العقلي والوقوع في القرآن فعلاً، وما يتبع هذا من دحض شبه المنكرين لجوازه من اليهود والروافض وأبي مسلم الأصفهاني، وبيان أن الخلاف بينه وبين الجمهور لفظي، وأما حكمته فمن حيث بيان السر في وقوعه في القرآن[1].

رابعاً: طرق معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن.

خامساً: أنواع النسخ في القرآن الكريم.

سادساً: بيان مسالك العلماء في ذكر الناسخ والمنسوخ في القرآن وتحقيق الآيات المنسوخة في القرآن وبيان ناسخها وتفسيرها، على قول من لا يرى جواز النسخ أو وقوعه.

1- أي لماذا جاءت فيه آيات ناسخة، وأخرى منسوخة.

وفي الصفحات التالية تفصيل هذه النقاط على الترتيب:

أولاً:- أهمية المبحث

نوّه الأئمة من الفقهاء والأصوليين والمفسرين بجلالة هذا المبحث وأهميته، وقالوا إن معرفة الناسخ من المنسوخ ضرورية للناظر في التفسير والفقه والأصول حتى لا يقع في تحليل حرام أو تحريم حلال فيَضِلّ ويُضلّ[1]، وقد ذكر الزرقاني في المناهل خمسة وجوه لأهميته أكتفي بذكر ملخص لثلاثة منها أرى أنها تفي بالغرض، فأقول:

الوجه الأول: أن الإلمام بالنسخ في القرآن يُعين على فهم الآيات ومعرفة الأحكام المستنبطة منها على وجهها الصحيح، وخصوصاً إذا وجدت أدلة متعارضة لا يمكن فهم الحكم منها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، فعند ذلك نقول: إن اللاحق ناسخ للسابق، ومما يؤكد هذا ما جاء في الأثر أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء كانوا يهتمون بهذا الباب من العلم ولا يسمحون لمن لم يعرفه أن يتحدث في التفسير أو الحلال والحرام، ومن أبرز هؤلاء من الصحابة عبد الله ابن عباس وعلي بن أبي طالب، فقد روي عن الأول أنه فسر الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]، بمعرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والمحكم والمتشابه والحلال والحرام، وروي عن الثاني أنه قال لقاصّ: أتعرف الناسخ والمنسوخ، قال الله أعلم قال: هلكت وأهلكت[3]، بمعنى أنه عرض نفسه والناس الذين يسمعون للهلاك الأخروي بسبب جهلهم الناسخ والمنسوخ من القرآن، وقال السيوطي: قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر

1- وقد كثر فيه التأليف حتى وصل ما ألف فيه من كتب إلى ما يربو على الثلاثين كتابا بين قديم وحديث.

2- الآية 269من سورة البقرة.

3- البرهان للزركشي، جـ2، ص 29، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[1]، وقال الدكتور محمد حسين الذهبي: معرفة النسخ وما يتعلق به يتوقف عليها أصول الدين وفروعه، وهي تفيدنا فيما يأتي:

أولاً: معرفة الأحكام على وجهها الصحيح حتى لا يقال بوجوب منسوخ مثلاً.

ثانياً: دفع التناقض عن نصوص الشارع[2].

<u>الوجه الثاني:</u> أن أعداء الإسلام من ملاحدة ومستشرقين ومبشرين قد اتخذوا من النسخ سلاحاً للطعن في الإسلام وكتاب الإسلام فأنكروا النسخ وبالغوا في إنكاره حتى جروا وراءهم بعض الجهلة من المسلمين، هذا إلى جانب فريق آخر من المسلمين على النقيض من هؤلاء أفرطوا في القول بالنسخ وأكثروا حتى قالوا بنسخ آيات كثيرة من القرآن وهي ليست منسوخة فعلاً، وإزاء هذا الإفراط وتلك المبالغة في الإنكار ينبغي أخذ الحيطة والحذر من طالب العلم الذي يريد التصدي لتفسير كتاب الله تعالى، واستنباط الأحكام من آياته بل الواجب التوسط بين الإفراط والتفريط، فلا ينكر النسخ كله، ولا يتوسع في القول به حتى يقرر نسخ آيات كثيرة وهي ليست منسوخة في الواقع، كما حدث لكثير من الخائضين في هذا الموضوع الدقيق[3].

وذلك لأن القول بنسخ أي آية لا يجوز ولا يتحقق إلا بشروط معينة، منها تحقق التعارض التام بين النصين ومعرفة اللاحق منهما والسابق، هذا مع العلم بأن العلماء قد قرروا بأن الأصل في الآيات القرآنية الإحكام، وعليه فلا يجوز القول بنسخ أي آية إلا بدليل صريح يدل على النسخ، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى[4].

1- الإتقان، جـ 2، ص 21.

2- [illegible] مذكرة في علوم القرآن، ص9.

3- انظر مناهل العرفان للزرقاني، جـ 2، ص 174- 175.

4- [illegible] مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ص273.

الوجه الثالث: إن معرفة الناسخ والمنسوخ ينكشف بها النقاب عن سير التشريع الإسلامي إبان ظهوره، ومن خلالها يطّلع المسلم على حكمة الله تعالى في تربيته لخلقه وسياسته للناس وابتلائه للبشر، مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ليس من عند محمد ﷺ بل هو تنزيل من حكيم حميد، سبحانه وتعالى.

ثانياً:- التعريف بالنسخ

وهو يتلخص في النقاط التالية:

أ- معناه لــغة

يطلق النسخ لغة على معنيين: الإزالة والنقل يشهد للأول ما جاء في القاموس المحيط: نسخه كمنعه أزاله وغيَّره وأبطله[1]، ومنه قولهم نسخت الشمس الظلّ أي أزالته، وكذلك قولهم نسخت الريح الأثر، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾[2]، ويشهد للثاني ما جاء عن أحد أئمة اللغة[3]، فقال: والنسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ المواريث أي انتقالها من أناس إلى آخرين، ومنه أيضا قوله تعالى:﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، والمراد نقل الأعمال إلى الصحف، وكذلك يشبه هذا المعنى نسخ الكتاب لما فيه من مشابهة النقل.

وهو في الاصطلاح: رفع حكم شرعي سابق بنص لاحق مع التراخي بينهما.

1- القاموس المحيط، جـ1، ص281.

2- الآية 52 من سورة الحج.

3- هو السجستاني سليمان بن الأشعث أبو داود صاحب السنن، توفي سنة 275 هـ.

4- الآية 29 من سورة الجاثية.

شرح التعريف: معنى الرفع قطع تعلق الحكم بأفعال المكلفين لا الرفع حقيقة لأنه واقع، والواقع لا يرتفع ومعنى الحكم: خطاب الله تعال المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير.

والنص الشرعي هو وحي الله تعالى إلى نبيه مطلقاً سواء كان متلواً أو غير متلوٍ، فيشمل القرآن والسنّة ولا نسخ بإجماع أو قياس.

محترزات التعريف: قولنا رفع جنس في التعريف وقولنا حكم شرعي قيد أول خرج به رفع البراءة الأصلية أي إباحة الأشياء والأفعال بإيجاب العبادات ونحوها، فإنها رافعة لحكم العقل بالإباحة الأصلية.

وخرج بقولنا بنص شرعي رفع الحكم بدليل عقلي كسقوط التكاليف عن المرء عندما يصاب بغفلة أو جنون أو موت.

وقولنا مع التراخي بينهما خرج به الرفع بدون تراخ بين النصين، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ﴾[1]، فإن انتهاء الصوم بالليل لا يعتبر نسخاً لعدم التراخي بين الأمر بإتمام الصوم وغايته وهي قوله إلى الليل، ولعلنا نستطيع أن نتعرف من التعريف وشرحه ومحترزاته على بعض شروط النسخ، وهي ما تراه مفصلاً في النقطة التالية:

ب- شروط تحقق النسخ

1- أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً.

1- من الآية 187 من سورة البقرة.

2- أن يكون النص الدال على ارتفاع الحكم أيضاً شرعياً متراخياً عن الخطاب المنسوخ حكمه لتبدل الحكمة على اختلاف الأزمنة.

3- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مؤبداً.

4- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت لأن التوقيت مانع من النسخ.

5- ألا يكون الخطاب المنسوخ حكمه من قبيل الأخبار[1]، الخالصة والعقائد، كما يتضح هذا أكثر في الفقرة الموالية.

جـ - تحديد موضوع النسخ

وهو قد يكون عاماً يشمل الشريعة بأكملها، وقد يكون خاصاً في الشريعة الواحدة في نص أو نصوص منها في الأحاديث النبوية أو الآيات القرآنية. وهذا الأخير هو الذي يعنينا في هذا المبحث، أما الأول، فهو ما وقع لشرائع الأنبياء الأولين، فقد نسخت اللاحقة منها سابقتها، ثبت في الأخبار أن شريعة موسى عليه السلام نسخت ما قبلها من الشرائع، وكذلك شريعة المسيح عيسى بن مريم نسخت شريعة موسى، كما أن شريعة محمد ﷺ نسخت ما تقدمها من الشرائع[2]، غير أن النسخ لم يتناول لب الشرائع وأصولها من الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر وكل ما يجب الإيمان به، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وأصول العبادات. قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[3]، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

---

1 - نقلا عن مذكرة الدكتور محمد الذهبي في علوم القرآن.

2- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ الآية 85 من سورة آل عمران.

3- الآية 13 من سورة الشورى.

فَاعْبُدُونِ ﴾[1]. وفي الشريعة المحمدية نجد المنسوخ والناسخ في العديد من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة. في البداية كانت الأحكام المنسوخة مناسبة في أوقاتها حتى إذا جاء وقت انتهائها نسخت بنصوص أخرى محكمة[2] في حياة الرسول الكريم ﷺ وأما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فصارت كل الآيات والأحاديث محكمة لا يلحقها نسخ.

والنسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي الصريحة والأخبار التي بمعناها، وبتعبير آخر يقال: إن النسخ يأتي في الأوامر والنواهي الصريحة وغير الصريحة فلا نسخ في الأخبار الخالصة لأن خبر الله تعال على ما هو عليه ونسخه يعتبر رجوعاً عنه، والرجوع عن الخبر تكذيب له يستحيل صدوره عن المولى عز وجل. قال السيوطي: مثل الخبر الوعد والوعيد[3]. مثال الأمر الذي جاء في صورة الخبر، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[4]. فقوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ لفظه لفظ الخبر ولكن معناه أمر المسلمين أن يؤمنوا كل من دخل البيت ولا يصح أن يكون خبراً محضاً وإلا كان كذباً لأنه قد قتل في البيت أناس ظلماً.

ومثال النهي الذي جاء في صورة الخبر، قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾[5] لأن معناه: لا تنكحوا الزانية أو المشركة، ومما ينبغي أن يعلم أن كل ما ذكرت مما يدخله النسخ من الأوامر والنواهي الصريحة والأخبار التي بمعناها لا تنسخ إذا كانت متعلقة بالعقائد وأصول العبادات المقررة في جميع الشرائع السماوية ومثلها الآداب

---

1 - الآية 25 من سورة الأنبياء.
2 - المحكم من الآيات ما ليس منسوخا ولا متشابها.
الإتقان في علوم القرآن، جـ2، ص21.
الآيتان 96-97 من سورة آل عمران.
الآية 3 من سورة النور.

الخلقية، كما في قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ • وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2].

د – الفرق بين النسخ والبداء والتخصيص

لما كان بعض من أنكر النسخ من اليهود وغيرهم من المسلمين يحتجون بأنه بداء أو تخصيص، احتاج العلماء إلى بيان حقيقة كل من البداء والتخصيص وتوضيح الفرق بينهما وبين النسخ، ليعرف القارئ أن البـــداء مستحيل على الله تعالى لما يلزم عليه من الجـــهل، ويعرف أن الكثير من الآيات التي قـــيل بنسخها وهي في الحقيقة مخصصة وليست منسوخة.

أولاً: البداء، معناه لغة هو الظهور بعد الخفاء أو نشأة رأي جديد لم يكن موجوداً قبل ومن الأول، قولنا بدا لنا سور المدينة، وقوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾[3]، ومن الثاني قولك بدا لي ترك الأمر بعد أن كنت عازماً على فعله، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[4] وهو على كلا المعنيين متضمن للظهور بعد الخفاء ومستلزم للعلم بعد الجهل وهو مستحيل على الله عز وجل، وهذا بخلاف النسخ. فقد علمنا أنه رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه وهو يفيد تحويل العباد من حكم كان لمصلحة وحكمة في وقت إلى حكم آخر لمصلحة

1 – الآية 171 من سورة النساء.
2 – الآيتان 17-18 من سورة لقمان.
3 – الآية 33 من سورة الجاثية.
4 – الآية 35من سورة يوسف.

وحكمة لجواز اختلاف المصالح والحكم باختلاف الأزمنة، وكل من الحكمين الناسخ والمنسوخ وما يترتب عليهما من حكم ومصالح كلها معلومة لله تعالى ظاهرة لديه لم يخف عليه شيء منها، والجديد في النسخ إنما هو: إظهار الحكم الناسخ للعباد بعد أن كان خافياً عليهم لا ظهور ذلك له تعالى.

ولما خفي على اليهود والروافض الفرق بين النسخ والبداء أنكروا النسخ، وغالى كل فريق منهم في قوله وكانا على طرفي نقيض. قال الروافض بجواز البداء على الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وقال اليهود باستحالته كالنسخ ولم يعرفوا أو لم يعترفوا بالفرق بينهما، ولهذا أنكروا النسخ كما سيأتي تفصيله في النقطة التالية، إن شاء الله تعالى[1].

ثانياً: التخصيص، وهو قصر العام على بعض أفراده بمعنى أن المتكلم بالعام لم يرد به الأفراد الذين خرجوا بالتخصيص. وأما النسخ، فهو رفع الحكم الذي كان مراداً به المنسوخ ثم رفع، وأريد به الناسخ فقط.

وقد ذكر العلماء فروقاً بين النسخ والتخصيص، أجملها فيما يلي:

1- أن التخصيص يفيد أن حكم ما خرج لم يكن مراداً من العام أصلاً بخلاف النسخ، فإن الحكم كان مراداً ثم رفع بالناسخ.

2- أن التخصيص لا يأتي إذا كان المأمور واحداً، إذ لا يعقل إخراج شيء منه بخلاف النسخ، فإنه يتأتى إذا كان المأمور واحداً كنسخ بعض الأحكام الخاصة بالنبي ﷺ.

3- المنسوخ بعد النسخ لا يجوز العمل به بخلاف العام بعد التخصيص، فإن العمل به باق فيما بقي منه.

4- التخصيص يجوز بالدليل العقلي وبالقياس وبالإجماع بخلاف النسخ، فإنه لا يكون إلا بخطاب شرعي من قرآن أو سنة.

---

1 - انظر مناهل العرفان، جـ2، ص194، ومذكرات الشيخ محمد حسين الذهبي.

5- النسخ لا يكون إلا بخطاب متراخ بخلاف التخصيص، فإنه قد يكون بالمتأخر أو المقارن أو السابق.

6- النسخ لا يقع في الأخبار المحضة كما تقدم بخلاف التخصيص، فإنه يأتي في الأخبار وغيرها[1].

ثالثاً:- حكم النسخ وحكمته

أما حكمه، فمن حيث كونه جائزاً عقلاً وواقعاً سمعاً في القرآن الكريم والسنة أو غير جائز وغير واقع فيهما، والكلام في هذه النقطة يكون في مقامين:

أولهما: في بيان القول المجمع عليه، وهو أنه جائز عقلاً وواقع شرعاً وإثباته بالاستدلال عليه.

ثانيهما: في بيان مذاهب المنكرين له وإبطال شبهتهم التي تعلقوا بها.

أما إثباته، فقد أجمعت الأمة الإسلامية قبل ظهور المخالف على جواز النسخ عقلاً ووقوعه بالشريعة الإسلامية لما قبلها، وفيها أيضاً قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: " أما الإجماع فاتفاق الأمة قاطبة على أن شريعة محمد ﷺ نسخت شرع من قبله. أ هـ"[2].

وأما الدليل العقلي على جوازه، فإن الله تعالى له أن يأمر بفعل شيء في وقت وبنسخه وينهى عنه في وقت آخر، كما أمر بالصيام في شهر رمضان ونهى عنه في يوم العيد، هذا على رأي من يقولون: إن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض[3]. وأما على مذهب غيرهم[4]، فيقال في الاستدلال: إن الله تعالى يجوز في حقه أن يعلم استلزام الأمر بفعل

1 - من مذكرات الدكتور محمد حسين الذهبي، ص7- 8.
2 - المستصفى في أصول الفقه، ص111، جـ1.
3 - وهو مذهب أهل السنة والجماعة.
4 - هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم.

الشيء في وقت لمصلحة واستلزام النهي عنه لمصلحة أخرى فيه وكل ما كان كذلك فهو جائز إذاً يجوز أن يأمر المكلف بفعل شيء في وقت لمصلحة فيه، وأن ينهى عنه في وقت آخـــر لمصلحة فيه أيضاً.

ويمكن الاستدلال عل المذهبين بأن يقال: لو لم يكن النسخ جائزاً عقلاً وواقعاً شرعاً لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ﷺ، لكن رسالته عليه الصلاة والسلام ثابتة بالأدلة القطعية إذاً يكون النسخ جائزاً عقلاً وواقعاً سمعاً.

الأدلة النقلية على وقوع النسخ، هي كما يلي:

1- قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾[1].

2- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾[2].

3- نسخ الاعتداد بالحول لمن توفى عنها زوجها بالاعتداد بأربعة أشهر وعشر في الآيتين 234- 240من سورة البقرة.

4- نسخ تقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ في الآيتين 12- 13 من سورة المجادلة.

5- نسخ وجوب ثبات العشرين للمائتين في القتال، كما في الآيتين 65-66 من سورة الأنفال.

6- الحديث الصحيح المروي عن عائشة في نسخ التلاوة والحكم معاً، كما سيأتي قريباً.

---

1 – الآية 106 من سورة البقرة.

2 – الآية 101 من سورة النحل

المطلب الثاني: في بيان مذاهب المنكرين للنسخ، وهي ثلاثة ..

1- مذهب طائفة من اليهود وهم الشمعونية قالوا: إنه ممتنع عقلاً وغير واقع في الشرائع وتعلقوا بشبهة واهية ليتوصلوا إلى إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأنى لهم ذلك. قالوا في بيانها: إنه لو جاز النسخ لكان إما لحكمة ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل، وإما لغير حكمة والتالي باطل بقسميه. أما بطلان القسم الأول، فلما يلزم عليه من البداء المستلزم لسبق الجهل وهو محال على الله تعالى. وأما بطلان القسم الثاني، فلما يلزم عليه من العبث، وهو محال أيضاً على الله تعالى فلم يكن النسخ جائزاً وهو المطلوب.

رد الشبهة وإبطالها: إن الملازمة في هذه الشبهة غير مسلمة وباطلة، لأن الله تعالى -كما تقدم تقريره- يعلم علماً تاماً الحكم الناسخ والحكم المنسوخ وما يترتب على كل منهما من الحكم والمصالح من قبل التكليف وليس هذا من البداء في شيء ولا من العبث، وإنما هو نقل للعباد من عبادة إلى عبادة أخرى لحكم ومصالح معلومة له من قبل، كالطبيب - ولله المثل الأعلى - يراعي مصلحة المريض فيأمره بأخذ الدواء وينهاه عنه في وقت آخر وكالوالد في تأديب ولده يأخذه بالرفق واللين تارة ثم يأخذه بالشدة والعنف في وقت آخر، أو بالعكس مراعياً في ذلك كله مصلحته وتهذيبه.

2- مذهب طائفة أخرى من اليهود: وهم العنانية قالوا بجواز النسخ عقلاً وعدم وقوعه في الشرائع[1]، تشبثاً منهم بشريعة التوراة، زاعمين أنها مؤبدة لا تنسخ إلى يوم القيامة. وقال

---

1 - بقيت طائفة ثالثة من اليهود قالوا بجواز النسخ عقلا ووقوعه في الشرائع، واعترفوا برسالة سيدنا محمد ﷺ لكنهم قالوا إنه مرسل إلى العرب خاصة يبقى عليهم أن يعترفوا بعمومها إلى الناس كافة وإلا كانوا مكابرين معاندين، وهذه الطائفة تدعى العيساوية نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني. انظر الملل والنحل، جـ2، ص55.

بمثل مذهبهم هذا من المسلمين أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المعتزلي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

الرد على أصحاب هذا المذهب ومن وافقهم: أولاً لمن قال به من اليهود نقول: إن النسخ وقع بشريعة موسى عليه السلام للشرائع التي سبقتها ووقع فيها بالشريعة الخاتمة شريعة سيدنا محمد ﷺ بدليل ما يلي:

1- جاء في السفر الأول من التوراة التي يعترفون بـها أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام حين خرج من السفينة إني جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه، وقد حرم الله على موسى وعلى بني إسرائيل كثيراً من الحيوان، كما جاء في السفر الثالث من التوراة. ويعترفون أيضاً بأن آدم عليه السلام كان يزوج الأخ من الأخت وقد حرم في التوراة.

2- إنهم يقولون إن إبراهيم عليه السلام أمره الله بذبح ابنه ثم قال له لا تذبحه[2]، من هذين الدليلين ثبت أن النسخ واقع في الشرائع السابقة، وأن شريعة موسى نسخت أحكاماً من تلك الشرائع.

3- أن الله تعالى أمر بني إسرائيل بأن يقتلوا كل من عبد منهم العجل ثم رفع السيف عنهم، وهذا دليل على أن النسخ وقع في شريعة موسى عليه السلام نفسها.

4- بالنسبة لأبي مسلم - أن استدلاله بالآية غير مسلم- وذلك لأن معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أن القرآن لم يتقدمه من الكتب ما يبطله ولا يأتي بعده ما يخالف أحكامه ولا يتناقض مع العقل السليم، وقد تقدم ذكر آيات ومواقع فيها نسخ من القرآن الكريم باعتراف كثير من العلماء.

---

1 - الآية 42 من سورة فصلت.

2 - انظر مناهل العرفان ، جـ 2، ص 191وما بعدها.

حقيقة الخلاف بين أبي مسلم والجمهور:-

لا يرى أبو مسلم أن الشرائع السابقة والآيات التي قال الجمهور بنسخها أن أحكامها لا زالت باقية، بل يقول: إنها انتهت ولا يجوز العمل بها الآن غير أنه لا يسميه نسخاً، وإنما هي عنده مقيدة بظهور شريعتنا، والآيات المقول بنسخها مقيدة بظهور أحكام تناقضها، وعلى هذا فالخلاف بينه وبين الجمهور من المسلمين لفظي... والله أعلم.

وأما حكمة النسخ، فهي تختلف باختلاف الموضوع الذي وقع فيه لأنه إما أن يكون في الشرائع السابقة أو في الشريعة الإسلامية -كما سبق- فأما حكمته في القسم الأول ، فهي حكمة جليلة وعظيمة بيّنها الشيخ محمد الزرقاني فقال: أما حكمته سبحانه وتعالى في أنه نسخ بالإسلام الأديان كلها، فترجع إلى أن تشريعه في القرآن أكمل تشريع يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها بعد أن بلغت أشُدَّها واستوت، وبيان ذلك أن النوع الإنساني تقلّب كما يتقلّب الطفل في أدوار مختلفة، لكل دور من هذه الأدوار حالة تناسبه غير الحالة التي تناسب دور غيرها. فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة وضعفاً وجهالة، ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويداً رويداً، ومروا في هذا التحول أو مرت عليهم أعراض متباينة من ضآلة العقل وعماية الجهل وطيش الشباب وغشم القوة على تفاوت في ذلك بينهم اقتضى وتطلب وجود شرائع مختلفة لهم تبعاً لذلك التفاوت، حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه جاء هذا الدين الحنيف ختاماً للأديان ومتمماً للشرائع وجامعاً لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية ومرونة القواعد جمعاً، وفّق بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين، ونظم علاقة الإنسان بالله وبالعالم كله من أفراد وأسر

وجماعات وأمم وشعوب وحيوان ونبات وجماد، مما جعله بحق ديناً عاماً خالداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(1).

وأما الحكمة في نسخ بعض الأحكام الشرعية الإسلامية والآيات القرآنية بعضها ببعض، فهي ترجع إلى ما يلي:-

1. مراعاة مصالح هذه الأمة وتربيتها وترقيتها لما يصلح لها في أطوار حياتها المختلفة وفي الأزمنة المتعاقبة، وخصوصاً في الفترة الانتقالية من عصر الجهل والظلام، إلى عصر العلم والنور.
2. التيسير والتسهيل على العباد برفع المشقة وإسباغ النعمة والتلطف بهم، فيما إذا كان النسخ من الأشد إلى الأخف، كما هو الغالب والكثير.
3. تهذيب النفوس فيما إذا كان النسخ من الأخف إلى الأشد تدرجاً بالعباد في التشريع، كما في تحريم الخمر وتحريم التعامل بالربا.
4. الابتلاء والاختبار فيما إذا كان النسخ إلى المساوي فيفوز المؤمن بالرضا والإيمان، ويهلك المنافق بالاعتراض وعدم الرضا.
5. التعبد بتلاوة الآيات المنسوخ حكمها زيادة في ثواب تاليها ورفعاً لدرجاته عند الله تعالى، هذا زيادة على ما في هذا النوع من التذكير بحكمها المنسوخ. فيشكر المؤمن ربه ويحمده علي التخفيف والتيسير الذي هو الحكمة الغالبة في النسخ، كما علمنا سابقاً.

رابعاً:- طرق معرفة الناسخ والمنسوخ

علم مما سبق أن النسخ عبارة عن رفع حكم تقرر من جهة الشارع - من الله سبحانه وتعالى أو من رسوله ﷺ- وقد يكون فيه إثبات حكم آخر بدله، وعمل هذا شأنه لا يسوغ لمؤمن أن يتجرأ عليه من عند نفسه، أو بمجرد الظن. فالناظر في القرآن الكريم

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ2، ص195.

ابتغاء تفسيره ليس له أن يقول: هذا ناسخ أو منسوخ إلا بيقين وبرهان، لأنه هذا القول قد أحل أن لا يطاع أمر صدر عن الله عز وجل أو عن رسوله، بل الواجب عليه أخذ الحيطة والحذر والتروي والتثبت. قال ابن الحصار: إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا. قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر. قال: ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة، لأن النسخ يتضمن رفع حكم تقرر في عهده ﷺ وإثبات حكم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد، قال: ((والناس فيه بين طرفي نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول، ومن متساهل يقبل فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قوليهما))[1]، وهو التوسط بين القولين بعد التثبت والنظر في الأدلة المتعارضة حتى يعرف مدى التعارض والتكافؤ كما سيأتي تفصيله. وفيما يلي تلخيص طرق معرفة النسخ:

1. القول الصريح الصحيح المنقول عن النبي ﷺ كأن يقول هذا ناسخ لكذا أو منسوخ بكذا أو نحو ذلك مما يدل على النسخ، أو يشتمل النص على ما يدل على النسخ كقوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]. ففي هذه الآية ما يدل على نسخ حكم تقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ وكقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ ثم قال: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3] فهذا دليل واضح على أن القبلة التي كانت قبل هذه منسوخة.

1- الإتقان للسيوطي، جـ2، ص 24.
2 - الآية 13 من سورة المجادلة.
3 - الآيتان 142-143 من سورة البقرة.

2. إجماع الأمة بلا خلاف يعتد به على أن آية كذا منسوخة أو ناسخة.
3. تعارض الأدلة تعارضاً تاماً مع معرفة المتقدم زمناً من المتأخر بأن يوجد في النص ما يدل عليه، كما في قوله ﷺ: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))[1].

وفيما يلي بيان للتعارض التام وغيره ومتى يكون سبيلاً للنسخ ومتى لا يكون، وذلك أن النصين إما أن يتعارضا من جميع الوجوه أو من وجه دون وجه، فإذ تعارضا من وجه دون وجه جمع بينهما، وإن تعارضا من جميع الوجوه فإذا كان أحدهما قطعيّاً وكان الآخر ظنياً أو كان أحدهما أقوى من الآخر في الثبوت، عُمِل بالأقوى وبالقطعي وأُهمل الآخر، وإن تعارضا من جميع الوجوه وتكافآ في الثبوت وعلم المتقدم منهما والمتأخر صُرفا إلى النسخ. أما إن تعارضا من جميع الوجوه وتكافآ في الثبوت و لم يعلم المتقدم والمتأخر، فلا يصار إلى النسخ بالاجتهاد بل يجب التوقف عنهما أو التخيير بينهما[2].

وبناءً على هذا، فلا يعتمد في النسخ على ما يلي:

1. على الاجتهاد والقول فيه بالرأي.
2. قول المفسرين بدون دليل مما تقدم.
3. التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تعارض غير تام.
4. ثبوت أحد النصين في المصحف بعد الآخر، فلا يقال: إن اللاحق ناسخ للسابق لأنه ليس على ترتيب النزول.
5. كذلك لا يحكم بأن ما رواه المتأخر إسلاماً ناسخ للحكم الذي رواه المتقدم في الإسلام، لجواز أن يكون العكس هو الصحيح.

---

1 - الحديث، رواه الحاكم في المستدرك ومسلم في صحيحه، جـ7، ص 46.
2- انظر اللآلئ الحسان للشيخ موس شاهين، ص217.

خامساً:- أنواع النسخ

للنسخ تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفة أشهرها إثنان، فيما يلي أذكرهما لأهميتهما:-

التقسيم الأول: باعتبار نسخ التلاوة والحكم أو أحدهما

وهو خـــاص بالنسخ في القرآن، وهو ينقسم بهذا الاعـــتبار إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً، مثاله ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ِ أنها قالت: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن[1]. وهو حديث صحيح موقوف على السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها إلا أن له حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي بل لا بد فيه من التوقيف، وقولها: عشر رضعات إلى آخره: ليس له وجود في المصحف حتى يتلى وكذلك العمل بما يفيده من الأحكام غير معمول به، ومن هنا ثبت وقوع النسخ للتلاوة والحكم معاً، والوقوع دليل على الجواز[2]. قال السيوطي: ظاهر قولها: وهن مما يقرأ بقاء التلاوة وليس كذلك[3]، وأجيب بأن المراد قارب الوفاة أو أن التلاوة نسخت أيضاً، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة الرسول ﷺ فتوفي وبعض الناس يقرأها. انتهى[4].

القسم الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، وقد مثلوا له بأمثلة رويت في الصحيح، منها:

1- رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.
2- انظر مناهل العرفان للزرقاني، جـ2، ص214.
3- وذلك لعدم وجوده في المصحف العثماني.
4- الإتقان في علوم القرآن، جـ 2، ص 22.

1. ما روي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا جميعاً وقنت الرسول ﷺ يدعو على قاتليهم. قال أنس ونزل في شأنهم قرآن قرأناه حتى رفع ((أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا))[1]، ثم نسخت تلاوته.

2. آية الرجم، وتروى فيما صح عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما أنهما قالا: كان فيما أنزل من القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته ﴿نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

التقسيم الثاني: باعتبار وجود بدل للحكم المنسوخ وعدم وجوده، وهو نوعان نسخ إلى بدل، ونسخ إلى غير بدل. أما النوع الثاني، فهو قليل ومن أمثلته نسخ الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[3] نسخت بقوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [4].

وأما النوع الأول، فهو باعتبار البدل ينقسم إلى ثلاثة أقسام البدل إما أن يكون أخف من المنسوخ أو أشد منه أو مساوياً له.

1. النسخ إلى الأخفّ هو أكثرها شيوعاً ووجوداً في القرآن، مثاله: نسخ تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم في ليالي رمضان بإباحة ما ذكر فيه، قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا

1- انظر صحيح مسلم بشرح النووي، جـ5، ص178.
2- قيل إنها كانت في سورة النور، انظر البرهان، جـ2، ص35، وفيه أيضا أنها كانت في سورة الأحزاب وأنها كانت تعادل سورة البقرة. أ. هـ.
3- الآية 12 من سورة المجادلة.
4- الآية 13 من سورة المجادلة.

كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1].

2. النسخ إلى بدل مساوٍ للحكم المنسوخ في الخفة على نفس المكلف، مثاله نسخ استقبال بيت المقدس في الصلاة بوجوب استقبال الكعبة. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2]، وهذا النوع متفق عليه من قبل العلماء القائلين بالنسخ كالأول.

3. النسخ إلى بدل أثقل على نفس المكلف من الحكم المنسوخ، ومن أمثلته نسخ صيام يوم عاشوراء بوجوب صوم شهر رمضان، ونسخ حلية الخمر بتحريمها، ونسخ مسالمة الكفار بوجوب قتالهم.

سادساً: مسالك العلماء في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن وذكر الآيات المنسوخة وبيان ناسخها مع تفسيرها على رأي من لا يقول بالنسخ:

أولاً:- مسالك العلماء

وملخصها أنها ثلاثة، فبينما نرى بعض العلماء يتساهل في شأنه ويكثر من ذكر الآيات المنسوخة حتى يعد منها ما ليس بمنسوخ كالمبين والمخصص والمشروع لسبب ثم زوال السبب ونحو ذلك من أمثال هبة الله بن سلامة[3] وأبي جعفر النحاس[1] وغيرهما،

1- الآية 187 من سورة البقرة.

2- الآية 144 من سورة البقرة.

3- هو أبو القاسم البغدادي بن سلامة بن نصر بن علي الضرير، له كتاب في الناسخ والمنسوخ، توفي 410هـ.

نرى بعضاً آخرين يتشددون في شأنه ويبالغون في التحري حتى كاد أن يصل بهم الحال إلى إنكار نسخ بعض الآيات التي اشتهر نسخها عند العلماء ويؤولونها، ولعل الصواب خلاف قوليهما وهو التوسط بألا يذكر من المنسوخ إلا ما توافرت فيه شروط النسخ المتقدمة، وورد فيه نصان متعارضان تعارضاً تاماً مع معرفة المتقدم من المتأخر زماناً، أو نقل صريح صحيح كما تقدم قريباً.

ثانياً:- ذكر الآيات المنسوخة

وبيان ناسخها وتفسيرها على رأي من لا يقول بالنسخ، **الآية الأولى** قوله تعالى: ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(2)، فقد قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(3)، ووجه هذا القول أن الآية الأولى أفادت جواز استقبال غير المسجد الحرام في الصلاة، والثانية أفادت وجوب استقبال المسجد الحرام وعدم جواز استقبال غيره في الصلاة، وقيل: إنها غير منسوخة وأصحاب هذا القيل يحملون الآية الأولى على التوجه في صلاة النافلة في السفر على الدابة، ويقولون هذا الحكم بقي ولم ينسخ والثانية في الصلوات الخمس أو محمولة على التوجه في الدعاء، والثانية محمولة على التوجه في الصلاة، وعلي كلا الحملين لا تعارض فلا نسخ فيها. نعم الآية الثانية ناسخة لما كان واجباً بالسنة من وجوب استقبال بيت المقدس.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(4)، فإنها أفادت وجوب الوصية

1- هو أحمد بن محمد المرادي، أبو جعفر التمامي أحد أئمة اللغة والعلم بمصر، توفي سنة 338هـ.

2- الاية 115من سورة البقرة.

3- الآية 144 من سورة البقرة.

4- الآية 180من سورة البقرة.

للوالدين والأقرباء، وهذا الحكم منسوخ وقد اختلف في ناسخه فقيل ناسخه آية المواريث وقيل بالسنّة وهي قوله ﷺ ((لا وصية لوارث)). والناسخ في الحقيقة هو الكتاب والسنّة عاضدة له[1]، وقيل: إن حكم آية الوصية للوالدين والأقربين لم ينسخ لأن الحكم هو الندب لا الوجوب، فلا تعارض بينها وبين آية المواريث، كما لا تعارض بينها وبين السنّة، لأن معنى الحديث لا وصية واجبة فلا ينافي الوصية المندوبة وإذا لم يكن تعارض فلا نسخ، وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ.. ﴾ ومواضع استعماله في القرآن علمنا أنه الوجوب، فحمله على الدب خلاف الظاهر فيكون القول بالنسخ هو الحق.

الآية الثالثة، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[2]، فهي تفيد بظاهرها تخيير من يطيق الصوم بين الصوم والإفطار مع الفدية، وقد نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[3]، فإنه يفيد وجوب الصوم على المقيم وهو معارض للتخيير بينه وبين الفدية، وقيل لا نسخ لأن في الآية الأولى حذفاً أي لا يطيقونه أو على أن معنى يطيقون أي يتحملونه بجهد ومشقة، واستدلوا بقراءة يطيقونه بتشديد الواو وفتحها، وعلى هذا فلا يكون بين الآيتين تعارض، واعترض عليه بأن الحذف خلاف الأصل، ويـتأيد الأول وهو القول بالنسخ بما روي عن أبي سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ .. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، كان من شاء منا صام، ومن شاء أن يفتدي فعل، حتى نسختها الآية بعدها[4] فيكون النسخ هو الصحيح.

1- الإتقان، جـ2، ص 22.
2- الآية 184من سورة البقرة
3- الآية 185 من سورة البقرة.
4- رواه البخاري ومسلم.

الآية الرابعة، قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[1]. دلت هذه الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام، وقد نقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء ما عدا عطاء على أن هذا الحكم منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[2]، فإن هذه الآية أفادت الإذن في قتال للمشركين عموماً والعموم في الأشخاص يستلزم العموم في الأزمان، وقد قاتل رسول الله ﷺ هوازن وثقيفاً في ذي القعدة وشوال سنة ثمان من الهجرة، وذو القعدة من الأشهر الحرم، وقيل هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. وأما عطاء فيرى أن حرمة القتال في الشهر الحرام باقية ولا يرى بينها وبين الآيتين تعارضاً، ويقول: إن الآية الأولى نبهت على العموم في الأشخاص، والثانية نبهت على العموم في الأمكنة وكلاهما غير مناف لحرمة القتال في الشهر الحرام، وأيضا القتال في الشهر الحرام لا يكون محرماً إذا كان جزاء ما هو أشد منه، بدليل قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[3]. إلا أن رأي الجمهور أولى بالاعتبار لما علمنا أن العموم في الأشخاص يقتضي العموم في الأزمان، فيكون التعارض قائما ولا مخرج منه إلا بالقول بالنسخ.

الآية الخامسة، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[4]، نسخ حكمها بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[5]، فإن الأولى أفادت أن المتوفى عنها يوصي لها

1- الآية 217 من سورة البقرة.

2- الآية 36 من سورة التوبة.

3- الآية 217 من سورة البقرة.

4- الآية 240 من سورة البقرة.

5- الآية 234 من سورة البقرة.

بنفقة سنة وبسكناها مدة الحول ما لم تخرج، فإذا خرجت فلا شيء لها. وأما الثانية، فقد أفادت وجوب تربصها أربعة أشهر وعشراً وقيل: إن الآية الأولى محكمة وليست منسوخة ولا منافاة بينها وبين الثانية، لأن الأولى خاصة فيما إذا كانت هناك وصية للزوجة بذلك ولم تخرج ولم تتزوج، أما الثانية فهي بيان للمدة التي يجب أن تمكثها وهما مختلفان.

الآية السادسة، قوله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، أفادت الآية أن من زنت من النساء بكراً أو ثيباً تحبس حتى الموت، ومن زنى من الرجال بكراً أو ثيباً يُؤذى بالسب والتعيير ثم نسخ هذا كله بآية النور التي أفادت أن من زنى من الرجال والنساء يجلد إن كان بكراً، وأما الثيب منهما فإنه يرجم تمسكاً بالسنة وبالآية المنسوخة التلاوة التي تقدمت[2].

الآية السابعة، قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[3]. اتفق الجمهور على أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4]، فالأولى أفادت وجوب ثبوت الواحد للعشرة في القتال، والثانية أفادت وجوب ثبات الواحد للاثنين، فالحكمان متعارضان فتحقق النسخ.

1- الآية 15-16 من سورة النساء.

2- وهي آية الشيخ والشيخة فارجموهما .. الآية.

3- الآية 65 من سورة الأنفال.

4- الآية 66 من سورة الأنفال.

الآية الثامنة، قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾[1]، نسخت بقوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[2]، لأن الأولى خبر بمعنى النهي -كما تقدم- بدليل قراءة لا ينكح بالجزم، والقراءات يفسر بعضها بعضاً وقيل: لا نسخ لأن تفسير الآية الأولى بأن الزاني المعروف بالزنى لا يستطيع أن ينكح إلا زانية مثله لنفور الناس عنه، وكذلك المرأة الزانية المعروفة بالزنا لا يرغب في نكاحها إلا زانٍ مثلها لنفور الناس الصالحين من زواجها، والحق النسخ كما تقدم.

الآية التاسعة، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[3]، نسخت بقوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾، ومن قال بعدم النسخ قال: إن الثانية بيان من الله تعالى بأن الصدقة لا يلزم أن تكون مالية بل يكفي فيها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحق النسخ بشهادة السياق.

الآية العاشرة، قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[4]، نسخت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[5]، فتكون منسوخة بالصلوات الخمس، ومن

1- الآية 3 من سورة النور.
2 - الآية 32 من سورة النور.
3- الأيتان 12-13 من سورة المجادلة.
4- الآيات 1-4 من سورة المزمل.
5- الآية 20 من سورة المزمل.

قال: إنها ليست منسوخة، قال: إن الأمر في الأولى للندب لا للوجوب فتكون محكمة وحكمها باق، والحق النسخ بدليل السياق وهو التخفيف والتيسير.

هذا معظم الآيات التي ترجح نسخها من القرآن، ذكرتها مع بيان رأي من يقول بعدم النسخ، وقد نبهت على الراجح فيها، والله الموفق[1].

1- من مذكرات الدكتور محمد الذهبي، ببعض تصرف.

الأسئلة

س1) لمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبرى تتضح في وجوه.. اذكر هذه الوجوه مبيناً معناه لغة واصطلاحاً؟ واشرح التعريف وبين محترزاته؟

س2) اذكر الشروط التي يتحقق بها النسخ؟ وحدد موضوعه بين الشرائع المتعددة وبين النصوص المتعددة من الشريعة الواحدة مبيناً الفرق بينه وبين ما يشبهه من البداء والتخصيص؟

س3) بين حكم النسخ من حيث الجواز العقلي والوقوع الفعلي واذكر أدلة القول بجوازه وأدلة المنكرين له عقلاً أو سمعاً مبيناً حقيقة الخلاف بين الرأيين ؟

س4) بين الحكمة من وقوع النسخ بين الشرائع المتعددة وفي الشريعة الواحدة بين بعض نصوصها؟ واذكر طرق معرفة الناسخ والمنسوخ وهل يمكن معرفة ذلك بالرأي والاجتهاد؟

س5) ما هي أنواع النسخ في القرآن من حيث وقوعه في التلاوة أو الحكم أو فيهما مع التمثيل لكل نوع؟ ومن حيث انقسام النسخ إلى بدل أخف أو غيره أو إلى غير بدل مع التمثيل لكل قسم؟

س6) بين مسالك العلماء في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن، واذكر عدداً لا يقل عن ثمان من الآيات المنسوخة مبيناً ناسخها عند من يقول بالنسخ وتفسيرها عند من يقول بعدم نسخها؟

المبحث الرابع

إعجاز القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ

مقدمة، وفيها أهميته ومجمل نقاطه:

لهذا المبحث أهمية عظيمة ومترلة لا يستهان بها، لذا أفرده جماعة من العلماء بالتأليف منهم الباقلاني[1]، والخطابي[2]، وذلك لأن إثبات إعجاز القرآن تتوقف عليه أمور غاية في الأهمية، منها:

أ) إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، حقاً وصدقاً، مترل منه تعالى على نبيه محمد ﷺ

ب) أن نبوة محمد ﷺ حق لا شك فيها.

ج) بإثباته تثبت نبوة الأنبياء السابقين جميعاً أيضاً، إذ أن القرآن شاهد صدق بها، فقد ثبت بما لم يدع مجالاً للشك عند علماء الحديث والسير أن الآيات القرآنية كانت تنـــزل على النبي ﷺ والعرب جميعاً بمن فيهم المشركون يسمعونها تتلى آناء الليل وأطراف النهار ومنها آيات التحدي وكلها نزلت بمكة إلا واحدة، وقد ورد التحدي صراحة في هذه الآيات، تحدى القرآن العرب الجاحدين الذين كانوا يناصبون النبي ﷺ العداء ويكيدون له المكائد على مراحل ثلاث:

أولاً: بالقرآن كله في سورة الطور المكية، يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[3]، وكرر هذا التحدي ثانية في

---

[1] - في كتاب إعجاز القرآن، وهو كتاب جليل مطبوع مع الإتقان بهامشه، وهو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي المتكلم، توفي سنة 403هـ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، جـ1، ص 481.

[2] - هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي في كتابه بيان إعجاز القرآن، طبع مع رسالة الرماني ورسالة عبد القاهر الجرجاني، والخطابي هو مؤلف معالم السنن، توفي سنة 388هـ، انظر الأعلام، جـ2، ص273.

[3] - الطور: 33-34.

سورة القصص المكية أيضا فقال: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

ثانياً: بعشر سور من مثله، فـقال عـز وجل في سورة هود عليه السلام المكية كذلك: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

ثالثاً: بسورة واحدة منه، فقال في سورة يونس عليه السلام المكية أيضا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، وكرر هذا التحدي مرة أخرى في سورة مدنية وهي سورة البقرة، فقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]، ثم بلغ التحدي ذروته وتجاوز العرب حتى شمل الإنس جميعاً والجن، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5].

تحداهم وعجزوا عن آخرهم وهم فرسان الكلام وأرباب النظم، وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يختص به غيرهم من الأمم وأوتوا من طلاقة اللسان ما لم يؤتاه أحد غيرهم.. ((جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب))[6]، ولم يتصد واحد منهم للإتيان بما يوازيه أو يدانيه ولا بمقدار أقصر سورة

1- الآية 49.

2- الآية 13.

3- الآية 38.

4- الآية 23.

5- الآية 88 من سورة الإسراء.

6- انظر تفسير القاسمي، جـ1، ص76.

منه. وقد مكث النبي ﷺ بين أظهرهم قرابة ثلاثة وعشرين سنة يتحداهم ويحتج عليهم بالحجة تلو الحجة، وهم حريصون كل الحرص على معارضته وإفساد أمره فلم يتيسر لهم شيء مما أرادوا واضطروا إلى المقارعة بالسيوف وبذل المهج والأرواح، فدل هذا دلالة لا شك فيها على عجزهم عن معارضته، وإذا ثبت عجز العرب من قريش، وهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة وأكثر العرب أنفة وأشدهم حمية فعجز غيرهم من باب أولى وأحرى[1]، فثبت أن القرآن من عند الله خالق القوى والقدر، وأنه المعجزة الخالدة الدالة على صدق النبي ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))[2].

وسيكون كلامي في هذا المبحث حسب النقاط التالية:

أ - تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً.

ب - القدر المعجز من القرآن.

ج - وجوه إعجاز القرآن.

د - إبطال القول بالصرفة.

وفيما يلي التفصيل:

---

(1) محاسن التأويل للقاسمي، جـ2، ص76.

(2) رواه البخاري في صحيحه، جـ9، ص113، في باب الاعتصام بالكتاب والسنة، وفي باب فضائل القرآن بهذا اللفظ، جـ2، ص224.

أولاً:- تعريف الإعجاز

وهو في اللغة مأخوذ من العجز عن الشيء ضد القدرة عليه، فيكون معنى الإعجاز: إثبات عجز المناوىء – المخاصم- وإضافته إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف وهم الكفار المعاصرون للنبي ﷺ أو البشر جميعاً أو الإنس والجن، كما تقدم آنفاً.

والمراد به اصطلاحاً: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، وأن القرآن وحي من عند الله تعالى بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن الكريم[1].

والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة. والتحدي هو: دعوى النبوة والرسالة[2]، ومعجزات النبي ﷺ كثيرة، وهي قسمان: حسية كنبع الماء من بين أصابعه وحنين الجذع وانشقاق القمر ونحوها[3]، وعقلية وهي القرآن الكريم وهي موضوع كلامنا هنا.

ثانياً:- القدر المعجز من القرآن

من العلماء من ذهب إلى أن المعجز هو القرآن كله[4]، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ.. ﴾ الآية. ورد استدلالهم بأن القرآن الكريم كما يطلق على الكل يطلق على البعض منه، وبالآية الثالثة من آيات التحدي، فيكون الصحيح المرجح أن القدر المعجز من القرآن هو أقصر سورة منه أو قدرها من الطوال أخذاً من

1- مباحث من علوم القرآن لمناع القطان، ص265.

2- من شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد، ص 115، والإتقان للسيوطي، جـ 2، ص116.

3- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص127-128.

4- نسبه السيوطي في الإتقان إلى بعض المعتزلة، انظر جـ2، ص123.

الآيتين الثالثة والرابعة من آيات التحدي، فلفظة السورة هو المتحدي به فيهما وهو صادق على أقصر سورة من القرآن مثل سورة الكوثر المشتملة على ثلاث آيات قصار أو قدرها من أي سورة أخرى، وهو ما ذهب إليه القـاضي أبو بكـر الباقلاني ونسبه إلى أبي الحسن الأشعري[1].

وبناء عليه، يكون في القرآن آلاف المعجزات إذ هو يبلغ ستة آلاف ومائتي آية على اعتبار أن كل ثلاث آيات معجزة كافية لإظهار عجز المعارضين، فالقرآن معجز في كل آية منه ومن أي ناحية نظرت إليه كما سيأتي في أوجه الإعجاز.

وإنما كانت معجزة القرآن خالدة ومستمرة إلى يوم القيامة لأنها عقلية تدرك بعين البصيرة والفكر، وهذا المعنى يؤيده الحديث الشريف المتقدم. فقد قال العلماء في شرح هذا الحديث، معناه: أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ولخرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره وبالمغيـبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، يدل على صحة دعواه[2].

وإنما انتهت معجزات الأنبياء السابقين لأنها حسية تدرك بالحواس ممن حضرها فقط كانقلاب العصا ثعباناً لموسى عليه السلام وإبراء الأكمه والأبرصَ وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى عليه السلام ونحو ذلك، وكلها حسية قصيرة الأمد، ذهبت بذهابهم، فلولا القرآن لم نعرف عنها شيئاً، أما معجزة النبي الخاتم، فهي وحي يُتلى وقرآن يتحدى كل منكر ويدعو أمم العالم جميعاً إلى ما فيه سعادة الداريْن.

---

[1] - انظر إعجاز القرآن للباقلاني، ص 386، والبرهان للزركشي، جـ2، ص108.

[2] - نقله صاحب اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص 244، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ10، ص381.

ثالثاً:- وجوه إعجاز القرآن الكريم

وجوه إعجاز القرآن كثيرة متنوعة منتشرة في جميع فروع العلوم والمعارف الإسلامية تحدث عنها القرآن أو أشار إليها، اقتبسها العلماء والباحثون عن الإعجاز في علوم القرآن من القرآن وتفسيره قديماً وحديثاً حتى تكوّن مما كتبوه بحر زاخر، وفي الصفحات التالية ألخص مما ذكروه الوجوه التالية:-

الوجه الأول:

بلوغ القرآن أعلى درجات الفصاحة والبلاغة إلى حد يخرجه عن طوق البشر في كل سورة من سوره وفي كل آية من آياته، قال الإمام الفخر الرازي: وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب، وقال صاحب منهاج البلغاء[1]: وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر[2].

وقال الخطابي ونسب إلى الأكثرين: واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه[3].

1- هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأنصاري القرطبي شيخ البلاغة والأدب والنحو واللغة عموما، توفي 684هـ، بغية الوعاة، ص214.

2- الإتقان للسيوطي، جـ2، ص118-119.

3- البرهان للزركشي، جـ2، ص103.

ومما يدل على فصاحة القرآن وبلاغته ما يحدثه من أثر في قلوب السامعين حتى ولو كانوا من الكفار، بدليلي ما يلي:

1- روي أن جبير بن مطعم قبل أن يسلم - سمع قراءة النبي ﷺ - في سورة الطور حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، قال خشيت أن يدركني العقاب، وفي لفظ: كاد قلبي يطير فأسلم، ولشدة تأثير القرآن في العرب مات عدد منهم عند سماع آياته تتلى، وقد صنف بعض العلماء فيمن مات من سماع آية من القرآن[1].

2- روي أن عتبة بين ربيعة لما بعثه الملأ من قريش ليكلم محمداً ﷺ ويأتيهم ببيان من أمره، فكلمه بكلام طويل والنبي ﷺ ساكت ثم قرأ عليه من أول سورة فصلت قوله تعالى: تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[2] فأمسك عتبة على فيه ﷺ وأنشده الرحم[3] أن يكفّ عنه، ثم رجع وقال لقريش لقد أجابني بشيء ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، وقرأ الآيات ثم قال لهم: "لقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن يترل بكم العذاب[4].

3- يروى في الأثر أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع سورة من القرآن، وهي سورة طه، أسلم في قصة مشهورة.

---

[1]-- البرهان للزركشي بتصرف بسيط، جـ2، ص106.

[2]- تفسير روح المعاني للألوسي، جـ24، ص110- 111. الأيات من 1-13 من سورة فصلت.

[3]-- يقال نشدتك الله والرحم أي ذكرتك بهما لما لهما من حق عليك، أو استعطفتك وسألتك بهما مقسما عليك.

[4] روح المعاني، جـ24، ص111.

4- روي أن الوليد بن المغيرة رقّ قلبه لما سمع آيات من القرآن، فقال لعشيرته: والله إن له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وانه ليعلو ولا يُعلى عليه، سمعت قولاً يأخذ بالقلوب[1].

الوجه الثاني:

اشتماله على العلوم والمعارف الصحيحة:

يمتاز القرآن باشتماله على العلوم الصحيحة النافعة التي جاءت لهداية الخلق إلى الحق بلغت من نبالة القصد، ونصاعة الحجة، وحسن الأثر وعموم النفع مبلغاً يستحيل معه أن تكون صادرة من بشر كمحمد ﷺ أمي نشأ بين قوم أميين، بل لا يمكن لأهل الأرض جميعاً أن يأتوا بمثله أو بما يقاربه فما أن تقع عينك عليه وتقرأه حتى تجد روح الإصلاح منتشرة بين أجزائه فتراه يصلح ما تردى فيه الوثنيون بشركهم ويصحح ما حرّف أهل الأديان في أديانهم وكتبهم، وتراه يمد الإنسانية جمعاء بعقيدة راشدة، وعبادات قويمة وأخلاق عالية، وأحكام عملية تكفل حياة المجتمع وتحميها من الفوضى والفساد وتمده بالطمأنينة والسعادة والسلام، ديناً قيماً يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة، ويشبع حاجات العقل والقلب ويوفق بين مطالب الروح والجسد، وبين الدين والدنيا، كل ذلك في قصد واعتدال[2].

وفيما يلي أسوق بعض الأمثلة من التشريعات التي امتاز بها القرآن وفاق الأديان الأخرى:

1- البرهان للزركشي، جـ2، ص110.

2- مناهل العرفان للزرقاني، جـ2، ص 342.

أولاً:- في مجال العقيدة

جاء القرآن بالعقيدة في الله بيضاء نقية تنزهه سبحانه عن جميع النقائص، وتنفي عنه الصاحبة والولد وكل ما يشعر بمماثلته لخلقه، وتصفه بالكمال المطلق والوحدانية في الألوهية والربوبية، بمعنى: أنه واحد في استحقاق العبادة وواحد في تدبيره لشئون خلقه، فقال عز من قائل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1]. وقال: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[2]، وقال: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

جاء القرآن بهذا في الوقت الذي كان فيه اليهود بعد موسى عليه السلام يعبدون الأوثان في أزمنة متعددة[4]، وزعموا أن لله ابناً وقالوا: العُزَيْر بن الله، وشبهوا الله تعالى بخلقه وقالوا: إنه تعب من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت[5] . وقالوا أيضاً: إنه تعالى ظهر في شكل إنسان وصارع إسرائيل - يعقوب عليه السلام- و لم يقدر على التفلّت منه حتى باركه فأطلقه[6]، إلى غير ذلك من فضائحهم وأغلاطهم الشنيعة، هذا بالنسبة لليهود، أما النصارى فقد كانوا يتخبطون في

1- الآية 11 من سورة الشورى.
2- الآية 111 من سورة الإسراء.
3- الآيتان 106-107 من سورة يونس.
4- انظر الفصل لابن حزم الظاهري، جـ1، ص191-196.
5- من سفر التكوين الإصحاح الثاني، ذكره الإمام شهاب الدين القرافي في الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص180.
6- في سفر التكوين، الإصحاح، 32، أن الذي تصارع مع يعقوب هو ملك في صورة إنسان، انظر المصدر السابق، ص188.

عقيدة التثليث الضالة ويزعمون أن المسيح عليه السلام ابن الله، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة -الأب والابن وروح القدس-، فانظر - رعاك الله- البون الشاسع والفرق الواضح بين العقائد في القرآن وبين عقائد هؤلاء اليهود والنصارى وأمثالهم.

ولم يكتف القرآن ببيان العقيدة الصحيحة، بل رد عليهم وفنّد آراءهم ومفترياتهم على الله في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، وقال: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[3].

ثانياً:- في عقيدة البعث والجزاء الأخروي

جاء القرآن بعقيدة البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال بالثواب أو العقاب شاملة للروح والجسد، وعامة لكل الناس، عادلة لا ظلم فيها ولا محاباة، ولا فضل لجنس ولا لطائفة، قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[4]، وقال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[5]، وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[6]، بينما اليهود يزعمون أنهم شعب الله

1- الآية 64 من سورة آل عمران.
2- الآية 101 من سورة الأنعام.
3- الآية 38 من سورة ق.
4- الآية 17- 18 من سورة نوح عليه السلام.
5 - الآية 47 من سورة الأنبياء.
6- الآيتان 7-8 من سورة الزلزلة.

المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وأن النار لم تمسسهم إلا أياماً معدودة وهي مدة عبادتهم العجل، وأيضاً قال النصارى: إنهم أبناء الله وأحباؤه[1]، وزعموا أن المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله، وأنه عليه السلام قدم نفسه فَصُلب وقتل فداءً لهم وتكفيراً لخطايا بني آدم وسموه المخلص والفادي، فشتان بين عقائد هؤلاء في البعث والحياة الأخرى بعد الموت، وبين عقيدة القرآن فيها كما وصفت سابقاً[2]. ولقد ردّ القرآن زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فقال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

وردّ على اليهود زعمهم بأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، فقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ﴾[4]. وقال في تفنيد ما زعموه أن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[5]. وقال في إبطال عقيدة الفداء عند النصارى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ

---

[1] - قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم.. ﴾ الآية 18 من سورة المائدة.

[2]- من مناهل العرفان، جـ2، ص 343-346.

[3]- الآية 18 من سورة المائدة.

[4]- الآيتان 94-95 من سورة البقرة.

[5]- الآية 80 من سورة البقرة.

﴿إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

وفي إمكان القارئ الكريم أن يقيس على عقيدتي الإيمان بالله والإيمان بالبعث كل ما جاء في القرآن من التشريعات القيّمة النقية الخالية من كل تحريف وزيف، مما يدل دلالة واضحة لا شك فيها على أنه من عند الله تعالى نزله على نبيه محمد ﷺ وليس من كلام محمد، كما زعمت قريش.

الوجه الثالث:- إخباره بالغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة

ومعنى هذا أن القرآن الكريم اشتمل على كثير من الأخبار التي لا سبيل لمحمد ولا لغيره من الخلق أن يعلمها بنفسه، فلا يعقل أن تكون نابعة منه ﷺ بل هو كلام الله علّام الغيوب الذي وصف بقوله: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3]، والغيب ثلاثة أقسام ماضٍ وحاضر ومستقبل، وجميعها ذكرت في القرآن تحدث عنها في مواقع كثيرة من آياته، وفيما يلي التفصيل والتمثيل:

أولاً:- الغيوب الماضية

وهي تتمثل في قصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة، تحدث عنها القرآن الكريم باستفاضة حديث الحاضر المشاهد وجاء بما يصدقه التاريخ الصحيح، ولم يكن لمحمد ﷺ علم بها قبل نزول القرآن. قال الله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ

---

[1] الأيتان 157-158 من سورة النساء.

[2]- الآية 46 من سورة فصلت.

3- الآية 59 من سورة الأنعام.

نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال في قصة موسى بن عمران عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2] وقال في قصة مريم أم عيسى عليهما السلام: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3].

ثانياً:- الغيوب الحاضرة

هذا النوع من الغيب يتمثل في ما أخبر به القرآن عن الله وصفاته وملائكته والجن وما في الحياة الأخرى من الجنة والنار، وغيرها من السمعيات وأسرار الكائنات التي لا سبيل لمحمد إلى العلم بها لولا القرآن والوحي، ويؤيد هذا ما جاء عن الأنبياء وكتبهم المنزلة. ومنه ما جاء في القرآن من الحديث عن نوايا المنافقين وقت نزول القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[4]، وقوله: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾[6].

1- الآية 49 من سورة هود عليه السلام.
2- الآية 44 من سورة القصص.
3- الآية 44 من سورة آل عمران.
4- الآية 204 من سورة البقرة.
5- الآية 7 من سورة المنافقين.
6- الاية 8 من سورة المجادلة.

ثالثاً:- غيوب المستقبل

أما غيب المستقبل، فالحديث عنه في القرآن أكثر مما قبله، ودلالته على الإعجاز أقوى وأظهر لأنه لا يحتمل مراءً ولا جدالاً كاحتمالهما في الماضي والحاضر من أنه تعلمه من غيره، كما ذكر القرآن، ورده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[1]، وكل ما أخبر به القرآن من هذا النوع حدث كما أخبر وما تخلف منه شيء[2]، وهو يتمثل فيما يأتي:

1- إخبار القرآن بأن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين[3] بعد هزيمتهم، قال تعالى: ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]، وبيانه أن دولة الروم وهي مسيحية كانت قد انهزمت أمام دولة الفرس وهي وثنية في حروب طاحنة بينهما سنة 614م[5]، فاغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متدينة أمام دولة وثنية، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين في شماتة: إن الروم أهل كتاب وقد هزمهم الفرس وهم مجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم، فنزلت الآيات الكريمة يبشر الله فيها المسلمين بأن هزيمة الروم هذه سيعقبها انتصار في بضع سنين أي في

---

[1]- الآية 4 من سورة الفرقان.

[2]- راجع مناهل العرفان، جـ2، ص381.

[3]- البضع من الثلاثة إلى التسعة، وإنما أبهم العدد ولم يحدد لإدخال الرعب والخوف في قلوب الكافرين.

[4]- الآيات 1-6 من سورة الروم.

[5]- اي بعد بعثة النبي ﷺ بثلاث سنين لأنه بعث سنة 611 ميلادية، انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص17-18.

مدة تتراوح بين ثلاث سنوات وتسع، ولم يكن الانتصار متوقعاً للروم في هذه المدة الوجيزة بل إن المقدمات تأبى ذلك، لأن الحروب الطاحنة قد أنهكتهم في الوقت الذي كانت فيه الفرس في قوة ومنعة، حتى راهن بعض المشركين أبا بكر الصديق رضي الله عنه على تحقق هذه النبوءة الواردة في القرآن، ولكن الله تعالى أنجز وعده وتحققت نبوءة القرآن سنة 622م في السنة الثانية من هجرته عليه الصلاة والسلام[1]. وفي هذه الآية بشارة أخرى للمسلمين وهي أنهم سيفرحون بنصر الله وقت انتصار الروم على الفرس وقد انتصروا فعلاً على قريش في غزوة بدر الكبرى، فقد صدق الله وعده في هذه كما صدق في تلك، فله الحمد من قبلُ ومن بعدُ.

2- إخبار القرآن بأن الرسول ﷺ وأصحابه، وهم بالمدينة سيدخلون المسجد الحرام بمكة محلّقين رؤوسهم ومقصرين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[2]، ثم وقع كما أخبر مع أن الظروف لم تكن تسمح به في مجرى العادة، فيدل هذا على أن القرآن ليس من عند محمد ولا من مخلوق سواه، بل هو كلام الله الخالق القادر على أن يبلغ مراده ويخرق العادة فتحقق الوعد بل الوعود الثلاثة المذكورة في الآية مؤكدة وهي دخول مكة وأداء النسك والأمن على أنفسهم من قريش حتى يرجعوا إلى المدينة. وقد تم هذا في العام الذي بعد عام الحديبية[3].

3- ما جاء في القرآن في معرض التحدي من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ..﴾[4]، وقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا

1- مناهل العرفان، جـ2، ص369.

2- الآية 27 من سورة الفتح.

3- مناهل العرفان، جـ2، ص376.

4- الآية 24 من سورة البقرة.

الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]. فإن ما في هاتين الآيتين من القطع بعدم قدرة المخاطبين وجميع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وهو يعّم المستقبل المديد الذي لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى، وهو غيب على كل من سواه تعالى، وقد تحقق عجز المخاطبين بالقرآن وتحققت نبوءة القرآن ولا تزال تتحقق، فقد انقرضت طبقة المخاطبين ولم يستطيعوا الإتيان بأقصر سورة منه، وجاءت بعدهم أجيال وأجيال من عرب وعجم وكلهم قد باءوا بالعجز ولم يستطع أحد منهم المعارضة إلى اليوم، وستستمر تحقيقاً لوعد الله الذي لا يخلف الميعاد.

وهل يمكن أن يفسر هذا التحدي القوي المديد إلا بأن القرآن مستمد من العلي القدير السميع البصير ومَن بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى[2].

4- إخبار القرآن المسلمين وتبشيرهم بالمستقبل السعيد الذي ينتظرهم، جاء في سورة مكية في وقت كانت فيه عوامل هذا النصر غير مواتية، ثم يتحقق هذا المستقبل السعيد للمسلمين. قال الله تعالى في سورة الصافات المكية: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]، وفي سورة غافر المكية أيضا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[4]، وكذلك نقرأ في سورة النور المدنية قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

---

[1] - الآية 88 من سورة الإسراء.

[2] - من مناهل العرفان باختصار، جـ2، ص273.

[3] - الآيتان 171-172.

[4] - الآية 51 منها.

﴿مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1]، في وقت كان فيه المسلمون يتعرضون لألوان من الأذى والاضطهاد في مكة والمدينة على عهد نزول هذه الآية.

روى الحاكم بسنده وصححه عن أبيّ ابن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فيه[2]، فقالوا: أترون أن نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت الآية. وروى مثل هذا عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، فقال: نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد[3] يعني قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ الآية. وهكذا كانت حالة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقت نزول آية الوعد، ولكن سرعان ما تحقق هذا الوعد الإلهي رغم هذه الحالة المنافية للنصر عادة، فدانت لهم الدول واستخلفهم الله في أقطار الأرض وأورثهم ملك قيصر وكسرى ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأبدلهم من بعد خوفهم أمنا وتحقق نصر الله الموعود به في الآيات، حققه من يملك خرق العادة إن شاء وهو على كل شيء قدير[4].

5- أخبر القرآن عن حادثة معينة ستقع لشخص معين وهو الوليد بن المغيرة المخزومي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ

1- الآية 55.

2- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص202.

3- المصدر السابق.

4-- من مناهل العرفان، جـ2، ص375.

آياتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[1]، أي نجعل له علامة على أنفه يعرف بها، وقد وقع هذا في غزوة بدر الكبرى فَخُطِم وجه هذا الرجل الكافر بالسيف أي ضرب به على أنفه، وبقي أثر الضرب واضحاً فيه مصداقاً للآية الكريمة المتقدمة.

الوجه الرابع:

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهو يتضح في الآيات التي لها صلة بالعلوم الكونية من حيث إنها تشير من قريب أو بعيد إلى حقيقة من حقائق تلك العلوم، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا النوع وهي مع الإشارة المذكورة تحث المسلمين على النظر والتدبر فيما خلق الله في الكون الفسيح من سموات وأرض وإنسان وحيوان ونبات، فأي مسألة من مسائل العلوم وأي قاعدة من قواعده ثبتت ورسخت حتى وصلت إلى درجة اليقين إلا وهي محققة ومؤيدة لما جاء به القرآن وحثّ عليه من النظر والفكر، وذلك لأننا نجد فيه الإرشادات والتوجيهات إلى البحث والاستزادة من العلم، هذا مع أن الحقائق العلمية المشار إليها لا تتعارض مع الآيات القرآنية، بل على العكس. ومما يدل على ما ذكر ما يلي:

أ – جعل القرآن التفكير في الكون وما فيه من مخلوقات عجيبة من أعظم وسائل الإيمان بالله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وقال: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾[3].

---

[1] - الآيات من 10 – 16 من سورة القلم.

[2] - الآيات 20–21 من سورة للذاريات.

[3] - الآيه 190 من سورة آل عمران.

ب - دعا القرآن إلى هذه العلوم في جملة ما دعا إليه من هدايات وآداب، وحث على البحث والنظر والانتفاع بما في الكون على سعته، ووجّه متّبعيه إلى الأتعاظ بما فيه من عظات وعبر، فقال عز من قائل: ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3].

ج - حث القرآن المسلمين على التفكير العلمي وأرشدهم إلى علوم شتى من علم نبات وفلك وحيوان وطبقات الأرض، فيقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4]. قال الشيخ محمد الصادق عرجون معلقاً على هذه الآية: "فالذين علموا - بعد البحث- حكمة الله في إنزاله الماء من السماء وكيفية تجمع هذا الماء في مكانه، والذين علموا بديع صنع الله تعالى في إحداث ما يحدث من تفاعلات العناصر الحية في باطن الأرض حتى تتكون فيها أجنة الثمرات المختلفة في طعومها وألوانها وأشكالها ومقاديرها فتخرج بإذن الله طيبة شهية نافعة.. والذين علموا صنع الله وعظيم قدرته في خلقه الجبال وتلوينها من طرائق مختلفة

---

[1] - الآية 101 من سورة يونس.

[2] - الآية 185 من سورة الأعراف.

[3] - الآيات 17-20 من سورة الغاشية.

[4] - الآيتان 27-28 من سورة فاطر.

وطبقات متنوعة الألوان والمنافع بين بيض وحمر وسود، والذين نظروا نظر تدبر في خلق الناس وتكوينهم وفي الدواب وخلقها وفي اختلاف الألوان في الناس"[1]، هؤلاء جميعاً هم من العلماء الذين عرفوا الله بجلاله حق المعرفة ويخشونه حق الخشية.

د - ساق القرآن الكريم كثيراً من الآيات الكونية لتحقيق ما يرمي إليه من تركيز الإيمان في نفوس المخاطبين، وتثبيت العقيدة الصحيحة في عقولهم، ولفت أنظارهم إلى كتاب الكون وما فيه من سماء وأرض وبحار ونبات، قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[3]، وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[4]، وكان القرآن عند حديثه في هذه الآيات عن الكائنات حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها وأوصافها، في حين أن الذي جاء بالقرآن رجل أميٌّ لم يعلّمه بشر و لم يذهب إلى دور علم ولا صلة له بفلسفة.. ونشأ في أمّة أميّة جاهلة، يضاف إلى هذا أن بعض العلوم التي يشير إليها القرآن لم تُعرف إلا بعد مهبط الوحي بقرون عديدة[5]. هذا وفي مقام الحث على التفكير العلمي واستعمال العقل والفكر، نجد آيات كثيرة يصعب حصرها، منها على سبيل المثال:

---

1 - من كتاب القرآن العظيم، هدايته وإعجازه، ص368.

2 - الآيتان 20-21- من سورة الذاريات.

3 - الآية 6 من سورة ق.

4 - الآية 4 من سورة الرعد.

5 - مجلة نور الإسلام، العدد 11، سنة 1970.

1- آيات ختمت بقوله عز وجل: ﴿ ... لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

2- وآيات ختمت بقوله تعالى: ﴿ .. كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2].

3- وآيات ختمت بقوله: ﴿ .. لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

وهذا يدل عل اهتمام القرآن بشأن العقل، والتنويه بفضل العلم وأهمية الفكر.

الوجه الخامس:

ما تدل عليه آية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4].

والمباهلة: مفاعلة من الابتهال وهو الاجتهاد في الدعاء والتضرع إلى الله بحرارة، دعا النبي ﷺ نصارى نجران إليها فأبوا أن يستجيبوا لها، وخافوا أن تترل عليهم لعنة الله لعلمهم أنهم كاذبون، ومحمد ﷺ صادق ورسول الله حقاً، مع أنها لا تكلفهم شيئاً سوى أن يأتوا بنسائهم وأبنائهم ويحضر رسول الله نساءه وأبناءه ويجتمعوا في مكان واحد ويبتهلوا إلى الله ويدعوه في إخلاص وقوة أن يترل لعنته وغضبه على الكاذب من الفريقين.

روي أنه عليه الصلاة والسلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر، فقال العاقب وكان

---

[1] - في خمسة مواضع: الآية 3 من سورة الرعد، الآية 24 من سورة يونس، الآية 11 من سورة النحل، والآية 21 من سورة الروم.

[2] - في أربعة مواضع: في الآية 97 من سورة الأنعام، الآية 32 من سورة الأعراف، الآية 11 من سورة التوبة، الآية 5 من سورة يونس.

[3] - في ستة مواضع: الآية 4 من سورة الرعد، وفي الآيتان 12و17 من سورة النحل، الآيتان 24 و 28 من سورة الروم، والآية 4 من سورة الجاثية.

[4] - الآيتان 61، 62 من سورة آل عمران، وقصة المباهلة رويت في البخاري ومسلم، انظر الألوسي، جـ3، ص188.

ذا رأي فيهم: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل وما باهلَ قومٌ نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن، فإذ أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم[1]. وكان رسول الله ﷺ قد خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة ثم قال لهم: "إذا أنا دعوت فأمنوا أنتم..." ولما رآهم أسقف نجران مقبلين قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا[2]. ثم رأوا ألا يباهلوا وصالحهم النبي ﷺ على أن يعطوه الجزية وهي ألفا حلة كل سنة. قال الزرقاني: " أليس هذا دليلاً مادياً على أن القرآن كلام القادر على إنزال اللعنة وإهلاك الكاذب، وأليس قبول محمد لهذه المباهلة مع امتناع أعدائه دليلاً على أن صدقه في نبوته كان أمراً مقرراً معروفاً حتى في نفوس مخالفيه من أهل الكتاب، وإلا فلماذا نكصوا على أعقابهم ولاذوا بالفرار من المباهلة".

الوجه السادس:

تأثيره في القلوب وصنيعه في النفوس، يتأثر به كلٌ من القارئ والسامع وتطمئن إليه النفوس. فكلما قرئ زاد إقبال القراء على قراءته ورغب السامع في سماعه، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]، وقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[4]، ولم يقتصر تأثيره على المؤمنين وحدهم بل تعداهم وتأثر به المشركون الجاحدون وجذبهم إلى سماعه؛ لذا أسلم عدد من العرب حين

---

1 - مناهل العرفان، جـ2، ص 401.
2 - روح المعاني للألوسي، جـ2، ص 272.
3 - الاية 23 من سورة الزمر.
4- الاية 21 من سورة الحشر.

سمعوا آيات منه، كما تقدم. وروي أن المشركين كانوا يتسللون ليلاً إلى بيت النبي ﷺ وبيوت بعض الصحابة يستمعون آيات القرآن تتلى، الأمر الذي جعلهم يتواصَوْن ألا يسمعوه خوفاً من تأثيره في قلوبهم[1]. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2]. قال الزركشي في أثناء كلامه عن وجوه الإعجاز: ومنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين[3]، وقال السيوطي: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه[4].

الوجه السابع:

أن قارئه لا يملّه وسامعه لا يمجّه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويملّ مع الترديد، ولهذا وصفه ﷺ في الحديث بقوله: "ولا يخلق على كثرة الرد"[5]، أي أنه لم يزل ولا يزال غضاً طريّاً في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين[6] مهما تكررت قراءته واستمر استماعه.

---

1 - مناهل العرفان، جـ2، ص408، إعجاز القرآن للرافعي، ص213، واللآلئ الحسان، ص 256.

2- الآية 26 من سورة فصلت.

3 - البرهان، جـ2، ص 110.

4 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص120.

5 - الإتقان للسيوطي، جـ2، ص123، والحديث رواه الترمذي، جـ2، ص149.

6 - البرهان، جـ2، ص107.

وبعد، فهذه الوجوه التي ذكرتها في إعجاز القرآن اخترتها واختصرتها من بين وجوه كثيرة ذكرها العلماء، وأرى أنها كافية في الموضوع. فقد قال بها معظم العلماء قديماً وحديثاً وصوّبوها في أبحاثهم، وأحب أن أختم كلامي فيها بما قاله أحد العلماء الأفذاذ يعتبر تلخيصاً لما ذكرت وتأييداً له وهو ابن سراقة[1]، ونقله عنه السيوطي في الإتقان، ونصه: "فقال قوم هو الإيجاز مع البلاغة، وقال آخرون هو البيان والفصاحة. وقال آخرون هو الوصف والنظم، وقال آخرون هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم، وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم، وجنس آخر متميز على أجناس خطابهم حتى أن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه. وقال آخرون هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يملّ وإن تكررت عليه تلاوته. وقال آخرون هو ما فيه من الأخبار عن الأمور الماضية، وقال آخرون هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع، وقال آخرون هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها، ثم قال[2]: وأهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته لواحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق. انتهى.

---

[1] - هو محمد بن احمد بن ابراهيم محي الدين الأنصاري، أندلسي قاهري، توفي بالقاهرة سنة 644هـ انظر الأعلام، جـ5، ص 322.

[2] - القائل هو السيوطي، نقلا عن الزركشي في البرهان بعد انتهاء كلام ابن سراقة، انظر الإتقان للسيوطي، جـ2، ص122.

الوجه الثامن:

إن الإعجاز وقع بالصرفة[1]، بمعنى أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم عنها وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات[2]. ولكن هذا قول مخالف لإجماع العلماء الذين يعتد بإجماعهم، ومردود بأدلة كثيرة تكفّلت بإيضاحها النقطة الموالية.

رابعاً:- إبطال القول بالصرفة

يظهر من بيان معناه أن القائلين به يزعمون أن العرب لم يعجزوا عن معارضة القرآن لكونه بلغ أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وإنما وقع لأحد أمور ثلاثة أو بمجموعها، والأمور الثلاثة هي:

1. إما لكون بواعث المعارضة ودواعيها لم تتوافر لدى العرب.
2. وإما بسبب حصول عارض ومانع منعهم منها رغم توافر دواعيها لديهم.
3. وإما لأن مواهبهم البيانية تعطلت و لم تسعفهم قرائحهم عند إرادة المعارضة.

أما الأول، فيبطل لأنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن دواعي المعارضة والبواعث لها متوافرة لديهم دعتهم إليها الآيات القرآنية التي ذكرت سابقا[3]، وأثارت فيهم الحمية وسجلت عليهم العجز التام.

وأما الثاني، فباطل أيضاً لأن المشركين لم يتركوا سبيلاً لمقاومة الدعوة إلا سلكوه، فقد آذوا الرسول ﷺ وعذبوا أصحابه وقاطعوا بني هاشم مدة من الزمن كما هو

---

1 - قال به من المعتزلة النظّام ومن أهل السنة أبو إسحاق الاسفراييني، ومن الشيعة المرتضى، ومن الظاهرية ابن حزم الأندلسي.

2 - وهي الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله على يدي مدعي النبوة تأييد الدعواه.

3 - وهي أيات التحدي كما سبق.

مشهور في التاريخ، ووقعت محاولات متعددة حاول أصحابها معارضة القرآن[1] فلم يفلحوا، وباءوا بالفشل الذريع.

وأما الأمر الثالث، من كون مواهبهم تعطلت فلو كان صحيحاً لآثر عنهم ووصل إلينا ولكن الواقع أن شيئاً من هذا لم يقع و لم ينقل فيكون باطلاً.

وإذا بطلت هذه الأمور الثلاثة بطل القول بالصرفة وهو المطلوب، وفيما يلي أذكر نصَّين للعلماء في إبطال القول بالصرفة:

1 قال القاضي أبو بكر الباقلاني:" ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه". أ.هـ[2].

2. وقال الزركشي: "وهو أي القول بالصرفة قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم على الإتيان بمثله، وأيضاً يلزم من القول بالصرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى، فلا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة[3].

---

1 - مثل محاولة مسيلمة الكذاب وأمثاله؛ انظر إعجاز القرآن للرافعي، من ص 173 إلى 176.

2 - الإتقان في علوم القرآن، جـ2، ص118.

3 - البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ2، ص94.

الأسئلة

س1) تحدث عن أهمية مبحث إعجاز القرآن ببيان ما يترتب على إثبات الإعجاز من أمور غاية في الأهمية؟ مبيناً المراحل التي تحدى القرآن بها العرب حتى عجزوا عن آخرهم مع ذكر آيات التحدي والقدر المتحدي به في كل مرحلة من مراحل التحدي؟

س2) عرف الإعجاز لغة وما المراد به في الاصطلاح مبيناً القدر المعجز من القرآن؟ واذكر وجوه إعجاز القرآن بجملة؟

س3) فصل الكلام في وجوه الإعجاز ووضحها وعلى الأخص الوجوه الثلاثة الأولى مبيناً فروعها مع التمثيل بالآيات الكريمة؟

س4) هناك منْ يدعون أن القرآن معجز بالصرفة ما مرادهم بهذا الادعاء؟ وكيف ترد هذا الزعم وتبطله مؤيداً كلامك بأقوال بعض العلماء؟

المبحث الخامس

القصص القرآني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

مقدمة البحث وأهميته:-

الناظر إلى آيات القرآن الكريم يجدها قد احتوت على العديد من القصص، منها النبوي ومنها غيره، إلا أن القسم المتعلق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومواقف الناس منهم هو الغالب والمهم. وقبل تفصيل الكلام في الموضوع، ينبغي أن يعرف القارئ أن أهمية هذا المبحث راجعة إلى مبنى الدعوة الإسلامية نفسها، إذ أنها تقوم على دعامتين أساسيتين لا يتحقق الإسلام ولا يقبل إلا بالإقرار والاعتراف بكل منهما كاملة غير منقوصة:-

أولاهما: الاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى واختصاصه بالربوبية والألوهية، ووصفه بجميع صفات الكمال ء وتنزيهه عن كل نقص.

وثانيتهما: الاعتراف برسالة سيدنا محمد ﷺ وبجميع الأنبياء والمرسلين قبله، عليهم الصلاة والسلام.

أما الدعامة الأولى، فقد شغل الكلام عليها وإثباتها حيزاً كبيراً من الآيات القرآنية في القصص القرآني وفي غيره.

وأما الدعامة الثانية، فقد جاء معظم ما يتعلق بها في ثنايا القصص القرآني في الكثير الغالب، لذا نجد القرآن الكريم كثيراً ما يعتمد على القصص في سبيل إيصال دعوته إلى نفوس مخاطبيه وبيان مراميها وشرح مبادئها لهم، فمن أجل هذا نرى أن البحث في القصص المذكور ودرسه وتفصيله وتيسير فهمه جدير بالاهتمام وإمعان النظر وإعمال الفكر، حتى يتمكن المسلم من استخلاص العظات والعبر ويلتمس منه المصلحون القدوة والطريقة المثلى في الإصلاح، والدعوة إلى الخير.

ويرى المسلم من خلاله مصارع المكذبين لآيات الله ورسله بعد أن تبين لهم أن ما جاءوا به هو الحق ووضح لهم الرشد من الغّي. وكذلك تتجلى لهم العاقبة الحميدة للأنبياء ولمن تبعهم من المؤمنين، إذ لولا هؤلاء الرسل لما اتجهت نفوس الخلق إلى الله تمجّده وتوحّده وتنزّهه عن أن يكون له شريك يسانده أو ندّ يماثله، وإنما كان القصص القرآني بهذه الأهمية التي أشرت إليها لأنه يتضمن الجانب العملي لحياة الأمم والشعوب وهو جانب له خطره وأهميته؛ إذ أنه يضع أيدينا على ما يحقق للأمة سعادتها ونجاحها ويكفل لها مثالية في أخلاقها ومعاملاتها، بها تتحقق خلافة الله في الأرض، وبها أيضاً تنبو عن كل فساد وكل مرض من أمراض المجتمعات السالفة.

هذا، ونظراً لطول الكلام على القصص القرآني وتعدد جوانبه وكثرة من تناوله من العلماء الباحثين، أرى أنه من المناسب أن يكون كلامي فيه محدوداً في نقاط معينة تهم الباحث ليستعين بها على فهم الآيات القرآنية، ويطلع على بعض الجوانب في حياة الرسل عليهم السلام، لتكون القدوة أتمّ والعبرة أبلغَ وأنجعَ، وسيكون البحث مقصوراً على النقاط التالية:

1. معنى القصة لغة واستعمالاً وأنوع القصص في القرآن.
2. الهدف من ذكر القصص في القرآن.
3. الحكمة من تكرار القصة الواحدة.
4. ميزة القصص القرآني على غيره من القصص.
5. دفع شُبه أُلصقت بالقصص القرآني.

أولاً:- معنى القصة لغةً واستعمالاً

القِصة بكسر القاف: الإخبار عن الحوادث الغائبة عن المخبر بها، وجمعها قِصص بالكسر أيضاً، وأما القَصص بالفتح فاسم للخبر المقصوص من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر، وأصل القصة مأخوذ من قولهم قص فلانُ الأثرَ إذا نظر فيه وتتبعه للوصول إلى صاحبه. قال الله تعالى في خبر أم موسى عليهما السلام: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[1]، أي تتبَّعي آثره لتعلمي خبره[2]، وقال: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[3]، أي تتبّعا الأثر.

هذا هو معنى القصة في اللغة، وأما معناها في الاستعمال القرآني فالمراد بها: تتبع أخبار الماضين من الأنبياء وأممهم وعرضها عرضاً حقيقياً مطابقاً للواقع من جميع جوانبه وحيثياته، فهو كغيره من سائر القرآن الحق الصريح الذي لا مراء فيه من حيث الأشخاص والأحداث والأزمنة والأمكنة وغيرها من الحيثيات. قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾[4]. وقد أوضح الإمام الفخر الرازي معنى القصص في القرآن فقال: "القصص هو: مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"[5] . وإنما سميت تلك الأخبار قصصاً لأن الذي يسرد الأخبار ويتحدث بها يذكرها جزءاً فجزءاً فأشبه بهذا قاصَّ الأثر في التتبع والتقصّي ومن ثم قالوا: قصّ فلان الأخبار يقصّها قصّاً وقصصاً إذا تتبعها فرواها لغيره، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[6]، من

---

1 - الآية 11 من سورة القصص.

2 - انظر بحوث في قصص القرآن، ص42.

3 - الآية 64 من سورة الكهف.

4 - الآية 13 من سورة الكهف.

5 - جـ3، ص 703 عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ .. ﴾ الآية 62 من سورة آل عمران.

6 - الآية 3 من سورة يوسف عليه السلام.

هنا يعلم أن أصل معنى القصة لغة يتلاقى مع استعمال القرآن للكلمة نفسها إلا أنه ينبغي أن يعلم أن القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص من حيث الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها ومن حيث العناصر أيضاً، إذ أن من أهم أهداف القصص في القرآن - كما سيأتي تفصيلها- هي العظة والاعتبار بحال الماضين بخلاف غيره من القصص الوضعي، فإن له أهدافاً أخرى كثيرة غير هذه مثل استجلاب وبعث الارتياح والمتعة في نفس السامع والقارئ، أو إثارة العواطف بذكر الأخبار العجيبة والحوادث الغريبة، وغير ذلك مما ليس هنا محل لذكره.

أما اختلافه عن غيره من حيث العناصر، فإنه قد يهمل بعض الأسماء لبعض الأشخاص أو زمان أو مكان لبعض الأحداث لعدم تعلق الغرض المساقة من أجله القصة بذكره، وأيضاً يخالف غيره من حيث عزوفه وترفعه عن الإغراق في الأخيلة التي يسبح فيها القصاصون، لاستغنائه عن جميع ما ذكر بالروعة البيانية الصادقة المكتسبة من الواقع والحقيقة المطلقة التي لا مجال فيها لريب.

أنواع القصص في القرآن:-

القصة في القرآن ثلاثة أنوع: الأول، قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تتضمن دعوتهم لأقوامهم إلى دين الله، وتبين معجزاتهم التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى. والنوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأناس لم تثبت نبوتهم كقصة أصحاب الأخدود، والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وابني آدم وأهل الكهف وأصحاب الفيل وذي القرنين ونحوهم. والنوع الثالث: قصص

يتعلق بحوادث وأخبار وقعت في عصر الإسلام كغزوة بدر وأُحد وحنين والأحزاب والإسراء والمعراج، ونحو ذلك.

ثانياً:– أهداف القصص القرآني أو الغرض من ذكر القصص في القرآن

تقدمت الإشارة قريباً إلى أن القصص القرآني جاء في أغلب الأحيان مقروناً بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وبالتنفير من الشرك والعقائد الفاسدة. وإلى تصفية الأذهان من العبودية لغير الله تعالى.

وبالجملة، أستطيع أن أقول: إن أهداف القصص في القرآن لا تخرج في مجموعها عن الهدف الذي من أجله أنزل القرآن وهو هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب الموصل إلى سعادة الدارين، وقبل ذكر الأهداف مفصلة أحب أن أنبه القارئ إلى الملاحظات التالية:

أ – إن شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي الغالبة على غيرها في القصة القرآنية.

ب – إن القصص القرآني ليس كغيره يراد منه سرد الحوادث وتواريخ الأمم والأشخاص، وإنما يراد منه غالباً العظة والاعتبار كما تقدمت الإشارة.

ج – يلاحظ على القصص القرآني أنه إنما يساق ويجتلب من أجل الحوادث ومواقف الناس منها أولاً، وبالذات ثم الشخصيات التي تلبست بها أو لابستها تلك الحوادث، ثانياً، وذلك لأن مناط العبرة والعظة إنما هو في الحدث وفي موقف الناس منه من بين محسن ومسيء، ومقبل ومعرض، ومن مواقفهم تستخلص العظات والعبر[1].

---

[1] – القصص القرآني للأستاذ عبد الكريم الخطيب، ص55.

من هنا، نجد أن القصة في القرآن لا تذكر فيها الحوادث متتابعة في موضع واحد مرتبة ترتيبا زمنياً، ولا تستقصى كلها، وإنما يذكر منها أشرف مواضعها وأليقها بالمقام المسوقة له.

وفيما يلي بيان لأهم أهداف القصص القرآني مستنبطة من الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الموضوع:

الهدف الأول: من أبرز أهداف القصص القرآني - كما أشرت سابقا - تثبيت ما جاء به الدين الإسلامي من العقائد الصحيحة ونشر المبادئ السامية، والأخلاق العالية، وتحرير هذه العقائد من الاتجاه لغيره تعالى، وهي أيضاً - وفي الوقت نفسه- تنفر الناس مما ينكره الدين والعقل من العقائد والآراء الباطلة والعادات والأخلاق الممقوتة، وهذا الهدف هو ما دعا إليه القرآن وجاءت به جميع رسالات الرسل السابقين. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ ﴾[2]، وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

الهدف الثاني: إثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ، وذلك لأن هذه القصص إخبار بالغيب وخصوصاً بالنسبة له ﷺ لأنه امرؤ لا يقرأ ولا يكتب ولم يتصل بعلماء أهل الكتاب، ومع هذا فقد جاء بما عندهم من أخبار الأوائل وصححها وزاد عليها كثيراً. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ • وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا

---

[1] - الآية 25 من سورة الأنبياء.

[2] - الآية 36 من سورة النحل.

[3] - الآية 41 من سورة العنكبوت.

وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]. وقال تعالى مشيراً إلى ما ذكر من قصص: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

الهدف الثالث: الإنذار والتخويف للعظة والاعتبار بأحوال الأمم الخالية الذين أنذروا من قبل فلم يستجيبوا للداعي، وهذه الفائدة تحصل لكل من المؤمن والكافر. فالكافر يدفعه القصص إلى الإيمان دفعاً لئلا يصيبه ما أصاب أمثاله من قبل، فهذا أحد عتاة الجاهلية يرقّ قلبه ويكاد يدخل في الإسلام لولا العناد والتعصب. وقع هذا حين قرأ النبي ﷺ الآيات الأولى من سورة فصلت المشتملة على طرف من قصة عاد وثمود على عتبة بن ربيعة حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[3]، وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾[4]، أمسك الشقي بفم النبي ﷺ وقال: ناشدتك الله والرحم أن تمسك .. كما تقدم. وهؤلاء جماعة من المشركين يروى أنهم كانوا يأتون فرادى متسللين يستمعون للقرآن من بيت النبي ﷺ وبيوت بعض أصحابه وخصوصاً أبا بكر الصديق رضي الله عنه حتى قاموا بمنعه من الصلاة وتلاوة القرآن في المسجد، مما حمله على اتخاذ مسجد له في بيته فمنعوه أيضاً حتى اضطر إلى العزم على الهجرة إلى الحبشة، غير أنه رجع في جوار أحد كبار أهل مكة[5]. فهذا يدل دلالة

---

[1] - الآيات من 44 إلى 46 من سورة القصص.

[2] - الآية 49 من سورة هود عليه السلام.

[3] - الآية 13.

[4] - الآية 16 من سورة فصلت.

[5] - وهو ابن الدغنة سيد القارة، انظر إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للخضري، ص20.

واضحة على مدى تأثر المشركين بالقرآن المشتمل على قصص السابقين وفيها وصف المعاندين الذين كذبوا الرسل وآذوهم فكانت العاقبة الطيبة للأنبياء وتابعيهم والدائرة السيئة على أعدائهم المكذبين. فالمشركون حين يسمعون هذا لا شك أنهم يكتسبون عظة وعبرة ربما أدت بهم إلى الإيمان لولا التعصب والتقليد. وأما المؤمن فيزداد بتلك النذر إيماناً إلى إيمانه، ويصبر على التمسك به والدعوة إليه حتى ينال ما ناله أسلافه من المؤمنين أتباع الأنبياء السابقين. فالقصص القرآني إذاً يحمل بين طياته معنىً إصلاحياً تهذيبياً كبيراً يهدي به الله من يشاء، ولقد وجّه القرآن الكريم إلى هذا الهدف، فقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[3]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة حتى بلغت نهاية الإنذار وغاية الإعذار. ومن الملاحظ عليها أنها كثيراً ما تكون عقب أو في خلال قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلوا إلى أقوام عبدوا الأصنام والأوثان من دون الله من أمثال قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام، ولعل هذا كان بسبب أن العرب في جاهليتهم كانوا - وفي وقت نزول القرآن- يعتزون بأوثانهم وأصنامهم ويعتزون أيضاً بالانتساب إلى أبيهم إبراهيم نفسه، وقد حطم الأصنام بيده وأنفق ربيع حياته في المجادلة عن توحيد الله حتى أُلقي في النار من جراء ذلك، وقد مجد القرآن هذا كله في سور كثيرة، منها الأنبياء، والشعراء، والصّافّات.

---

[1] - الآية 111 من سورة يوسف.

[2] - الآية 176من سورة الأعراف.

[3] - الآيتان 101- 102من سورة يونس عليه السلام.

الهدف الرابع: وهو الهدف الذي لا تكاد تخلو قصة من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا صرحت به أو أشارت إليه، ألا وهو تسلية النبي محمد ﷺ وتثبيت فؤاده وتقوية قلبه، وتعليم المؤمنين الصادقين الصبر والثبات، ولزوم الدعوة إلى الله تعالى وتحمّل المشقات والصعاب في سبيلها، والمثابرة على السعي في نشرها بين الأنام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويتجلى هذا الهدف في كثير من آيات الذكر الحكيم، قال الله تعالى: ﴿ وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2]، وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا الهدف.

وبالجملة، فإن للقصص القرآني أثراً عظيماً في صقل النفوس وحملها على الصبر والثبات على المبدإ. وقد ظهر هذا واضحاً في حياة الرسول ﷺ وفي حياة أصحابه من بعده الذين صمدوا في وجه الكوارث وضحّوا بالنفس والنفيس في سبيل تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية وانتصروا في المعارك وخلا أمامهم طريق الخير من العقبات، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر في حرية واطمئنان.

الهدف الخامس: تعليم العرب خاصة والمسلمين عامة كيفية السعي إلى سيادة العالم وقيادته كما فعل ذلك أمم قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي عايشوه مدة من الزمن قبل الإسلام، فقد رضي الواحد منهم من العزة باغتيال أخيه والاستيلاء على ما يملك، فتقاصرت هممهم وأصبحوا أتباعاً لغيرهم من الأمم المجاورة، وحينما جاءهم القرآن الكريم يقص أخبار الماضي فتح عليهم أبواباً واسعة من العلم والمعرفة، فاطلعوا على معظم

---

1 - الآية 120 من سورة هود عليه السلام.

2 - الآيات من 171 إلى 173 من سورة الصافات.

3 - الآية 51 من سورة غافر.

أخبارهم وأحوالهم وعرفوا منها كيف تترتب المسببات على أسباهما في الخير والشر والتعمير والتخريب، فيجدون في سلوك سبيل الخير ويحذرون طريق الشر ويرون أهم إن أخذوا بوسائل البقاء من الاستعداد لكل حالة بما يناسبها ومن الاعتماد على الله أولاً، وعلى أنفسهم ثانياً سلموا من تسلط غيرهم عليهم، وحصلوا على جوامع الخيرات وملائمات الحياة التي تناسبهم، وطلبوا كل ما ينقصهم مما يتوقف عليه كمال حياتهم وتتحقق به عظمتهم بحيث تهابهم الأمم وتخشى سلطانهم المجتمعات الأخرى المناوئة لهم، وهو ما يريده الله لأتباع دينه الخاتم وحملة رسالته العامة الصالحة لكل زمان ومكان.

الهدف السادس: أثبت القصص القرآني إعجاز القرآن بالنسبة لأهل الكتاب والعرب على السواء، أما بالنسبة لأهل الكتاب فلأنه قطع عليهم الحجة في تعاليهم على العرب ووصفهم لهم بالأمية وعدم العلم بأخبار الأمم والأنبياء السابقين، فكان اشتمال القرآن الكريم على قصص أولئك الأنبياء مع أممهم تحدياً عظيماً لأهل الكتاب وتعجيزاً لهم وإبطالاً لحجتهم. قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ.. ﴾ الآية[1]، فكان حملة القرآن أحقّاء بأن يوصفوا بالعلم الذي وصف به أحبار اليهود، وبهذا انمحت صفة الأمية عن المسلمين، وانقطعت ألسنة المغرضين عنهم وعن وصفهم بأنهم أمة أميّة جاهلة.

وأما الإعجاز القصصي بالنسبة للعرب، فيتجلى في أن القرآن ابتكر أسلوباً في القصص لم يكن معروفاً ولا معهوداً بين العرب، وهو أسلوب له بالغ الأثر في نفوس المخاطبين، ذلكم هو أسلوب المحاورة والصراع ومداولة الكلام بين السائل والمجيب، فكان وروده في القرآن مع غيره من نواحي الإعجاز الأخرى التي تقدم الكلام عليها في مبحث إعجاز القرآن من الأمور التي أعجزت العرب عن أن يأتوا بمثلها، ومن أمثلته الحوار

---

[1] - الآية 49 من سورة هود عليه السلام.

والتخاصم الواقع بين المشركين في عرصات القيامة وفي الآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾[1].

الهدف السابع: تصحيح تاريخ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وتبرئة ساحتهم الشريفة من العبث الذي لحقها على مدى العصور على يد طائفة من اليهود والنصارى الذين حرفوا الكتب السماوية كما نطقت بهذا آيات القرآن الكريم، فالتوراة التي في أيدي اليهود اليوم مليئة بالأوصاف النابية التي لا تليق بمراتب الأنبياء وتناقض عصمتهم، فقد حكت توراتهم عن بعض الأنبياء أنهم ارتكبوا بعض المعاصي كالزنا وشرب الخمر وعدم تنفيذ أوامر الله والاحتيال والحسد[2]ء وجاءت كتب المسيحيين على الضد من ذلك، فغالت في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورفعت المسيح عليه السلام إلى درجة الألوهية، وقالوا فيها: إن المسيح ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، أما القرآن الكريم فقد جاء في حق الأنبياء عليهم السلام بما يحفظ لهم كرامتهم ويليق بمكانتهم عند الله تعالى، ولا يرتفع بهم إلى مرتبة الألوهية وهو الطريق الوسط البعيد عن تفريط اليهود وإفراط النصارى، فيصفهم بأنهم عباد الله المصطفون من خيرة خلقه اختارهم لحمل رسالاته واختصهم بالعصمة والصدق والأمانة، وأنهم بشر يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ويمرضون ويموتون، إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تخلّ بمراتبهم العلية.

الهدف الثامن: الدلالة والإرشاد إلى أن دعوة رسول الإسلام محمد ﷺ متفقة في أصولها مع دعوات من سبقه من رسل كما يتبين من قصصهم، فلا عذر لمن لا يؤمن بها

---

1 - الأيات 28 إلى 30 من سورة الصافات.

2 - انظر من ص 190- 206، جـ1، من الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام شهاب الدين القرافي من ص185-187، تحقيق حسين سالم كارة، رسالة ماجستير 1986م.

ويتبع هواه. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1]. ونجد في كثير من الآيات القرآنية في القصص النبوي دعوة الأنبياء أممهم إلى توحيد الله الخالص، ونبذ عبادة غير الله تعالى من الأصنام والأوثان ونحوها، والى الإيمان باليوم الآخر، واتباع الفضائل ونبذ الرذائل.

هذه هي أهم أهداف القصص القرآني العامة، وهناك أهداف أخرى خاصة تؤخذ من قصص بعض الأنبياء على الخصوص، ذكرها الدكتور موسى شاهين في (اللآلئ) أختار منها ما يلي:

أولاً:- من قصة موسى بن عمران عليه السلام

غرس بعض العقائد السليمة في نفوس الأمّة، ومنها:

1. إن الله يداول الأيام بين الناس فيرفع من انخفض ويخفض من ارتفع لحكمة يعلمها العليم الخبير، قال عز وجل: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[2].
2. أن عناية الله إذا أحاطت أغنت عن كل عناية، فقد وُضع موسى وهو طفل رضيع في صندوق وأُلقي في البحر فألقاه اليمّ بالساحل، فأخذه عدوه وعدو الله، ولكن الله ألقى عليه محبة منه، وشمله برعايته وحفظه.
3. أن الجور والظلم والتجبر والطغيان لا يمنع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن أعلى مقاماته كلمة حق عند سلطان جائر. فقد قال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ

---

[1] – الآية 25 من سورة الأنبياء.

[2] – الآيتان 5-6 من سورة القصص.

جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

4. إن التشدد عاقبته وخيمة، فمن شدَّدَ شُـــدِّدَ عليه، وهكذا كان بنو إسرائيل متعنتين ومتشددين فشدد الله عليهم، وقصة البقرة خير شاهد على هذا.

ثانياً:- من قصة هود عليه السلام مع قومه

1. تحذير الأغنياء والأقوياء والمترفين ألا يغتروا بما هم فيه ويعرضوا عن دعوة الرسل، وأن يؤمنوا بأن الله الذي أمدهم بنعمه قادر على تحويلها نقماً ودماراً يحل بهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ.. ﴾[2].
2. التنبيه إلى اليوم الآخر والتنفير من الركون إلى المصانع والحصون وزخارف الحياة الدنيا، قال تعالى حكاية لقول هود عليه السلام منكراً على قومه أفعالهم المنافية لما أمرهم به: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

---

1 - الآية 28 من سورة غافر.

2 - الآية 15-16 من سورة فصلت.

3 - الآيات من 128-130 من سورة الشعراء.

ثالثاً:- أهداف من قصص أخرى قصيرة، منها

1. من قصة أيوب عليه السلام أن الصبر على البلاء يعوض المصاب في الدنيا والآخرة.
2. ومن قصة قارون أن البطر وطغيان الغني مهلكة لصاحبه.
3. ومن قصة أصحاب الجنة الذين بخلوا على الفقراء أن الصدقة سبيل الزيادة والبركة، وأن حرمان المساكين من حقهم المعلوم يمحق المال ويهلكه ويحرم صاحبه من الخير، لأن الله تعالى الذي أعطى هو الآمر بالإنفاق وهو قادر على أن يجعل الغني فقيراً والفقير غنياً، كما يؤخذ منها أن التوبة والاستغفار تزيد النعمة وتحفظها[1].

ثالثاً:- الحكمة من تكرار القصص أو القصة الواحدة في القرآن الكريم

هذه النقطة لها صلة وارتباط بالنقطة السالفة، فهذه ناشئة عن تلك ومترتبة عليها من حيث إن أهداف القصص القرآني، التي ذكرتها والتي لم أذكرها، يمكن استخلاصها كلها أو جلّها من قصة واحدة في أول ذكر لها على الخصوص أحياناً.

إذاً، فما الداعي لهذا التكرار للقصص عموماً وللقصة الواحدة أحياناً الذي حفلت به الآيات القرآنية في كثير من السور، الأمر الذي اتخذ منه أعداء الإسلام مطعناً في القرآن الكريم والنيل من بلاغته وإعجازه وقالوا: إنه دليل على عدم واقعية القصص القرآني[2].

وفي هذه النقطة إجابة عن هذا السؤال ونحوه:

تقدمت الإشارة إلى أن الحوادث ومواقف الناس منها هما في الغالب الداعي إلى سوق القصة في القرآن الكريم في مواطنها المختلفة، إذاً فمن الطبيعي أن تكرر قصة

---

1 - اللآلئ الحسان، ص320- 321 ومن أراد المزيد من الأهداف، فعليه مراجعة هذا الكتاب، وقصص الأنبياء للدكتور عبد الوهاب النجار، وقصص الأنبياء لابن كثير، ونحوها.

2 - انظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور حجازي، ص303.

الشخص الواحد تبعاً لتكرر الحادثة وتكرر المواقف. هذا مع العلم بأن المفسرين للقرآن قد قرروا أن القصص القرآني أشبه ما يكون بالمواعظ والخطب أكثر من كونه تأليفاً تاريخياً أو ذكراً للمناقب والسيرة، وعليه فتكرار القصة الواحدة كبرهان لإثبات الغرض المسوقة من أجله لا يسمى تكراراً كما لا يعد ذكرها مع غرضها تكراراً محضاً لها أيضاً، لأن سبق ذكرها إنما كان لمناسبة أخرى فلا يقال هذا تكرار، كما لا يقال للخطيب إذا خطب في قوم ثم دعته المناسبات أن يعيد ما تضمنته خطبته السابقة أنه أعاد الخطبة وإنما يقال: إنه أعاد معانيها فقط و لم يعد ألفاظها. فالحق الذي لا محيد عنه هو أن القصة في القرآن الكريم تذكر وتكرر في عدة مواضع تقل أو تكثر في أساليب شتى ولأغراض مختلفة، ولكنها في كل سورة وفي كل موضع نراها ثابتة في مكانها متناسقة مع جارتها مؤتلفة مع الغرض الذي سيقت من أجله السورة، محققة لما يرجى منها من أهداف وغايات، فهي في كل مرة من مرات التكرار تكشف عن جانب من جوانبها، أو تجسم صورة من صورها، أو تكمل حديثاً من أحاديثها، أو حدثاً من أحداثها، ولذا فلا نجد القصة الواحدة تكررت في السورة الواحدة. هذا مع العلم بأن التكرار لا يخلو من الفائدة كشدة الاعتناء بالجانب المكرر من القصة وتكميل الناقص ولفت النظر وجذب الانتباه إلى سماع القصة بالمغايرة بين الأساليب في المرات المتعددة إلى غير ذلك من الفوائد، وأيضاً التكرار الذي يقع يكون في جانب من جوانب القصة ويؤدي وظيفة حيوية لا يمكن أداؤها بوجه واحد من وجوه التعبير، بل لا بد أن تعاد العبارة مرة أو مرات تحمل في كل مرة بعضاً من مشخصات المشهد وإن كانت كل عبارة تعطي صورة مقاربة للمشهد كله[1]. بل قال بعضهم: "إن التكرار في القصة الواحدة من القرآن هو من إعجازه للبشر تتجلّى فيه روعة الكلمة ودقة التعبير بحيث لا يقاربه أي تصوير في جلاله وشدة أسره للقلوب، فسبحان مَن هذا كلامه.

---

[1] – انظر القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 68.

وقد بينّ علماء الاجتماع في هذا العصر أن تكرار الدعوات الدينية والسياسية والاجتماعية هو الذي يثمر الجماعات ويدعهم إلى قبولها دعاً، ولم يكن محمد ﷺ ولا أحد من أهل عصره يعلمون هذا، ولكن الله منزل القرآن يعلم من طباع البشر فوق ما يعلمون وفوق ما يعلم حكماء عصرنا وسائر الأعصار، وإنما القرآن كلامه فليس فيه من التكرار إلا ما له أكبر الشأن في انقلاب الأفكار، وتحويل ما في الأنفس من العقائد والأخلاق إلى خير منها، وهو ما لا يمكن إحداث الانقلاب الإصلاحي بدونه[1].

رابعاً:- ميزة القصص القراني على غيره من القصص

تقدم في النقطة الثانية ذكر ما للقصص القرآني من الأهداف السامية والأغراض الشريفة الرامية إلى تحقيق كل ما هو خير وسعادة لبني الإنسان وأغلبها مما يمتاز به على غيره، إذ الأهداف المذكورة قلّما تكون هدفاً لمن يضعون القصص الأدبية أو غيرها.

وأيضاً القصص القرآني يمتاز بالصدق ومطابقة الواقع فكل شيء فيه له وجود ذاتي وصفات حقيقية تقوم به، وكذلك كل الأشخاص الذين يجري ذكرهم فيه بأسمائهم أو صفاتهم، فإنما هي شخصيات تاريخية حقيقية معروفة ذكرتها الكتب المقدسة من قبل القرآن، أو حفظها التاريخ الإنساني على مر العصور؟ فليس في القصص القرآني محل لرجم بالغيب أو مكان للخيال أو الاختلاق أو الإغراق في المبالغة، إلى غير ذلك من الصفات التي اشتهر بها القصص الوضعي حتى قيل: إنه لا يحسن أو لا يروق إلا بالإغراق في المبالغة والخيال وتصوير غير الواقع واقعاً.

هذا، وقد تقدم في النقطة الأولى ما يفهم منه امتياز القصص القرآني على غيره من حيث الأهداف والعناصر ومن حيث اعتماده على الحوادث أكثر من الأشخاص، في حين

---

1 تفسير المنار، جـ1، ص 170.

أن القصص الوضعي يتجه بكل عنايته للأشخاص ويجعلهم هم الذين يحركون الحوادث وهي تدور حولهم؟ وهناك ميزة أخرى للقصص القرآني لا توجد في غيره ألا وهي اشتماله على المعجزات وخوارق العادات التي وقعت على أيدي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تأييداً لهم وتصديقاً لهم في دعوى النبوّة والرسالة. فهذا إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام يلقى في النار ويخرج منها سالماً معافىً، وهذا يونس عليه السلام يلتقمه الحوت ويلقيه سليماً لم يكسر له عظم ولم يخدش منه لحم بقدرة الله تعالى، وكذلك موسى عليه السلام ينفلق له البحر فرقتين كل فرقة كالجبل وتبقى الأرض يابسة بينهما وغير هذا كثير، وهو على كثرته في القصص القرآني لا نجد له أثراً في غيره اللهم إلا ما كان من نسج الخيال الصرف، هذا من ناحية العناصر، وأما الأسلوب فنرى بينهما اختلافاً كثيراً وفرقاً شاسعاً؟ فبينما القصة في القرآن تعتمد على الحقائق الثابتة في أسلوب محكم رصين، نجد غيرها من القصص الأدبي ونحوه لا يخلو من الخيال السيال الذي يحقق الإثارة والتشويق وتحريك الوجدان ليصل بالمخاطب إلى ما يريد.

هذا، ويمكن تلخيص مميزات القصص القرآني على غيره في ما يلي:

1. أنه يهدف أول ما يهدف إلى العظة والعبرة لالتماس القدوة وانتهاج الأسوة بالأنبياء والصالحين من أتباعهم.
2. يعتمد أولا على الأحداث ومواقف الناس منها، أما الشخصيات فإنما تجيء تبعاً.
3. أنه من خالص وقائع الحياة المعاشة ولا محل فيه لوهم أو إغراق في المبالغة أو خيال.
4. أنه يشتمل على التشويق والإثارة للعواطف النبيلة مع التزام الحق والصدق.
5. اشتماله على خوارق العادات المستمدة من واقع حياة الأنبياء، عليهم السلام.

خامساً:- دفع شبهة الصمت بالقصص القرآني

ذكر في النقطة السالفة أن القصص القرآني يمتاز بمطابقته للحقيقة المطلقة من جميع الحيثيات وفي كل ما يتصل به، غير أن هناك من لم يرتض هذا وأثار شبهة واهية حول أحقية القصص القرآني، وملخصها أن بعض الكاتبين في القصص[1] ادّعى، متأثراً بالمستشرقين وبميله إلى الفن الأدبي، فقرر أن القصص القرآني يوصف بما يوصف به غيره من حيث عدم التزام الصدق والحقيقة الواقعة، وجوز أن يكون فيه تخيل واختلاق لبعض الشخصيات، وقال ما نصه: "وما تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد بالتاريخ، بل قد يكون من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الحرص على الصدق العقلي، وإنما ينتج عمله ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل" أ- هـ[2]. ويفهم من هذا النص ونحوه أن الكاتب يوافق المستشرقين في أنه يوجد في قصص القرآن ما لا يوافق الواقع التاريخي ولا يحرص على الصدق والحق غير أنه يخالفهم في سبب ذلك وتعليله.

وإزاء هذه الدعوى المسمومة، لا يسعني، كما لا يسع أي مسلم مؤمن، بأن القرآن من عند الله إلا أن ينكرها ويستبعدها رغم ما أضفى عليها ذلك الكاتب من تبريرات، وأنا الآن لست بصدد بيان مخالفاته وردها واحدة واحدة، فقد سبقني إلى هذا علماء أعطوا الموضوع حقه، وزيفوا هذا الزعم بما لا مزيد عليه فيما أعلم[3] . وأكتفي في هذا المقام أن أبينّ للقارئ الكريم أن ما توهمه هذا الكاتب توهم باطل مجانب للصواب،

---

1 - وهو الدكتور محمد خلف الله مؤلف كتاب الفن القصصي في القرآن، وذكر فيه هذه الدعوى.

2 - المرجع نفسه، ص 136

3 - اذكر من هؤلاء العلماء الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، والأستاذ عبد الحافظ عبد ربه في كتابه بحوث في قصص القرآن، جزاهما الله عن الدفاع عن كتابه خيراً.

مخالف لما عليه سلف الأمة وخلفها، إذ كيف يقال هذا في شأن كتاب وصفه منـــزله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]. والذي يغلب على ظني أن هذا الزعم استقاه صاحبه من كتابات أعداء الإسلام من المستشرقين وأضرابهم الذين يكيدون للإسلام وكتابه الكريم، فيزعمون أن القرآن من عند محمد ﷺ، وهو غير مستبعد ولا مستغرب من هؤلاء، ولكني أتعجب من أن يقول به من يعتنق الإسلام ديناً ويؤمن بأن القرآن منزل من عند الله وليس هناك حديث أصدق منه، ولا أدري ما الذي دعاه إلى هذا القول في القصص القرآني، ولا أعتقد أنه يوجد من المبررات ما يجعل المرء المسلم يستسيغ القول به.

وفي اعتقادي، أنه يكفي المسلم من دراسة حياة أولئك الأخيار الكرام من الأنبياء والمرسلين والصالحين من اتباعهم التماس القدوة وانتهاج السلوك القويم الذي سلكوه في حياتهم وطريقهم إلى رضى الله تعالى. ويكفيه أيضاً من دراسة أحوال الكفرة والطغاة، أخذ العظة والاعتبار بمصارع من كذب وأعرض عن دعوة الحق، هدانا الله جميعاً إلى ما فيه الخير لنا وللمسلمين، آمين.

---

[1] - الآية 42 من سورة فصلت.

الأسئلة

س1- ما معنى القصة لغة؟ وما المراد بها في الاستعمال القرآني مبيناً مدى صلة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي؟

س2- اذكر أنواع القصص في القرآن؟ وما هي أغراضه وأهدافه العامة التي جاء لتحقيقها والدعوة إليها؟

س3- هناك أهداف لقصص معينة في القرآن؟ اذكر أهداف القصص التالية: قصة أيوب وموسى وهود عليهم الصلاة والسلام؟

س4- ما الغرض والحكمة من تكرار القصة الواحدة في القرآن في مواضع متعددة مبيناً الميزات التي يمتاز بها القصص القرآني عن غيره من القصص؟

س5- هناك شبهة أثيرت حول القصص القرآني، اذكر هذه الشبهة وأجب عنها بما يبطلها؟

المبحث السادس

القسم في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة البحث وأهميته:-

جاء القسم في القرآن الكريم في آيات كثيرة وفي سور متعددة، وأغلب موارده في افتتاحيات السور المكية، وهو من الافتتاحيات البديعة الدالة على أهمية موضوع السورة وهدفها الرامية إلى تحقيقه، ولعل السر في الافتتاح به أن المشركين تواصَوْا على عدم الاستماع إلى القرآن وعلى اللغو فيه كما حكى عنهم القرآن[1]، فجاءت هذه الفواتح وأمثالها لتلفت أنظارهم وأنظار غيرهم إلى استماع القرآن، وتشغل أذهانهم عن الانصراف عنه وعن اللغو فيه، وقد جاء الافتتاح بالقسم في سبعة عشر سورة مكية، القسم في أولها مباشرة دون أن يسبقه شيء، وفي ست سور أخرى مكية أيضاً سبق القسم فيها بحرف أو حرفين من حروف التهجّي المفرقة التي قيل: إن أصح الأقوال في تفسيرها أنها للإيقاظ والتنبيه ولفت النظر لما يأتي بعدها، وهذه من الأدلة على أهمية القسم وشدة وقعه على نفوس المخاطبين، هذا مع العلم بأن دعوة القرآن كانت في أول أمرها موجهة إلى قوم غلاظ أعماهم تقليد الآباء والأجداد، وتحكمت فيهم عادات أصمّت آذانهم عن سماع الحق والإصغاء إلى داعي الخير؛ من أجل هذا استعمل معهم القرآن أسلوب القسم الدال على التأكيد وشدة الاعتناء بما يأتي بعده من الأدلة إذا هو في غاية الأهمية، فكأن الله جلّت قدرته أراد أن يرغمهم على سماع القرآن والانصياع إلى الحجة والبرهان فقرع آذانهم أولاً بالقسم لتتشوق النفس منتظرة جوابه الآتي، فإذا ورد تمكّن في نفس المخاطب فضل تمكن، وفيما يلي بيان إجمالي لنقاط المبحث:

---

[1] - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ الآية 26 من سورة فصلت.

1- معنى القسم لغة واستعمالاً والعلاقة بينه وبين الحلف.

2- أساليب القسم في القرآن الكريم وأنواعه.

3- حكمة استعمال القسم في القرآن الكريم.

4- شبهة واردة على القسم في القرآن وإبطالها.

وفيما يلي تفصيل هذه النقاط على الترتيب:-

أولاً:- معنى القسم والعلاقة بينه وبين الحلف في الاستعمال

استعمل القسم في اللغة بمعنى القطع ولنفي الشبهة والريب كالجزم والإبانة والقول الفصل، ثم اختص القسم من بين هذه الألفاظ بشدة الفصل بالقول، والذي يظهر أن مجيئه بصيغة أفعل يؤيد هذا الاختصاص، وأيضاً للدلالة على المبالغة والزيادة. قال الراغب في المفردات: وأقسم حلف، وأصله من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول، ثم صار اسماً لكل حلف، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[1] ﴿أَهَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾[2].

وأما الحلف، فهو أيضاً في أصل معناه يستعمل في القطع والحدة، يقال هو حليف اللسان أي حديده[3]، وسنان حليف أي قاطع، ثم اختص بشدة الفصل في القول كالقسم، قال الراغب: والحلف أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين[4]. ومن هنا نعلم أن القسم والحلف بمعنى واحد فهما مختلفان لفظاً ومتحدان معنى واستعمالاً عند العرب، غير أن القرآن قد استعمل القسم في جانب البر

---

1 - الآية 53 من سورة النور.

2 - الآية 49 من سورة الأعراف.

3 - القاموس المحيط، جـ2، ص133.

4 - المفردات للراغب الأصفهاني، ص403.

والحنث معاً، وأما الحلف فقد استعمله في جانب الحنث فقط، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾[1]، في جانب الحنث، واستعمله أيضاً في جانب البر، فقال: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[2]، وأما الحلف، فلا نجده استعمله إلا في جانب الحنث فقط، قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾[3]، وقال: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[4]. ولعل هذا هو السر في أن المولى جلّت قدرته لم يسند مادة حلف لذاته العلية في القرآن الكريم بتاتاً. هذا، ومن المقارنة بين الحلف والقسم نستخلص ما يلي:-

1. أن القسم والحلف متحدان معنى مختلفان لفظاً.
2. أن القسم في القرآن لم يأت أبدأ بلفظ الحلف في حالة ما إذا كان المقسم هو الله تعالى.
3. أن هناك فرقاً طفيفاً في الاستعمال القرآني بين مادتي حلف وأقسم: فقد استعمل الحلف في الحنث دائماً، بينما استعمل القسم في الحنث تارة، وفي البر تارة أخرى.

ثانياً:- أساليب القسم في القرآن وأنواعه

يلاحظ المتتبع لآيات القسم في القرآن وأساليبه فيها أن القسم جاء على النمط المتعارف عليه عند العرب وبالألفاظ والأساليب المستعملة عندهم ولا عجب في ذلك،

---

[1] - الآية 109 من سورة الأنعام.
[2] - الآيات من 1 إلى 3 من سورة القيامة.
[3] -- الآية 74 من سورة التوبة.
[4] - الاية 18 من سورة المجادلة.

فقد نزل بلغتهم، ولهداية الناس، وإرشادهم إلى الحق جاءت تعاليمه السامية. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]، غير أنهم منعوا من استعمال بعض الأقسام التي تشم منها رائحة الشرك، مثل الحلف بالأنصاب والكعبة والآباء، وما عدا هذا فقد أباحه الإسلام ونطقت به آيات القرآن الكريم. أما القسم والحلف واليمين فقد تقدم التعبير بها، وأما لفظ العمر، فقد جاء في قوله تعالى مقسماً بعمر النبي ﷺ تكريماً له فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2]. وجاء لفظ النذر في قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[3]، ولفظ الإيلاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾[4].

أنوع القسم:-

وأما أنواع القسم، فهي إما من حيث المقسم به، أو من حيث المقسم عليه، والقسم الاستدلالي، والقسم المنفي:-

أ - **فأما أنواعه من حيث المقسم به**، فهي ستة وذلك لأنه إما اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، أو الملائكة عليهم السلام أو القرآن الكريم، أو يوم القيامة، أو أشياء أخرى من خلقه تعالى كالشمس والقمر والليل، وما إلى ذلك. فهذه ستة من أنوع المقسم به بجملة أقسم بها الله تعالى ليلفت أنظار خلقه إلى ما فيها من أسرار وعجائب وليستدلوا بأحوالها المتغيرة على مبدعها سبحانه وتعالى، ومما يدعم هذا المعنى ويؤكده أن أغلب أقسامه بالمخلوقات قد حوت كثيراً من الظواهر الكونية

---

1 - الآية 3 من سورة الزخـــرف.

2 - الآية 72 من سورة الحـــجر.

3 - الآية 26 من سورة مريـــم.

4 - الآية 22 من سورة النـــور.

البديعة والمخلوقات العجيبة الهائلة التي توحي وتدل دلالة واضحة بأن المولى ما أقسم بها لمجرد التأكيد، بل وليستدلوا بها على المبدع الحكيم جل جلاله وعلا شأنه. قال الشيخ الإمام محمد عبده مبيناً الحكمة من قسمه تعالى بمخلوقاته: "فإنك إذا رجعت إلى جميع ما أقسم به المولى جل شأنه وجدته إما شيئاً أنكره بعض الناس لجهلهم أو احتقروه لغفلتهم عن فائدته، أو لذهولهم عن موقع العبرة فيه، أو عن الحكمة في خلقه، أو انعكس عليهم الأمر فاعتقدوا فيه غير الحق الذي قرره الله فعظموه فوق ما يستحق وربما عبدوه من دون الله فيقسم الله به إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره، أو لتعظيم شأنه في نفس من يحتقره، أو لتنبيه الشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره، أو لقلب الاعتقاد في ضمير من أضلّه الوهم أو خانه الفهم" أ.هـ[1]. وقد مثل العلماء لأنوع القسم باعتبار المقسم به بأمثلة كثيرة، أكتفي بذكر ما يفي بإيضاح المقام:-

1. ما كان باسم من أسماء الله تعالى، وهو نوعان بما كان بلفظ الرب مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وما كان بلفظ الجلالة كقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[4].
2. ما كان بصفة من صفات الله تعالى، وقد جاء القسم بعزة المولى على لسان إبليس عليه اللعنة، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

---

[1] - تفسير جزء عم للإمام محمد عبده، ص10.
[2] - الآية 40 من سورة المعارج.
[3] - الآية 65 من سورة النساء.
[4] - الآية 57 من سورة الأنبياء.
[5] - الآية 82 من سورة صَ.

3. القسم بالملائكة عليهم السلام، وجاء القسم بهم في موضعين في سورتي الصافات والنازعات، على القول الصحيح في تفسير الصافات والنازعات.

4. باسم من أسماء القرآن، فقد جاء القسم به في ستة مواضع، ثلاثة منها بلفظ القرآن، وثلاثة بلفظ الكتاب، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾[1]، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[2].

5. كان باسم من أسماء اليوم الآخر، وجاء في موضعين أحدهما بلفظ يوم القيامة، لآخر بلفظ اليوم الموعود.

. ما كان بأشياء أخرى من مخلوقاته تعالى غير ما ذكر وهو كثير في القرآن، مثل الليل والنهار والشمس والقمر والعصر والتين والزيتون وغيرها، وأعمّ قسم من هذا النوع قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾[3]، لأنه يتناول كل شيء في الوجود، والأمثلة ظاهرة لجلّ هذه الأشياء فلا داعي للإطالة بذكرها.

ب- وأما أنواع القسم من حيث المقسم عليه، فهي ستة أيضاً. وقبل تفصيلها والتمثيل لها ينبغي أن يعلم القارئ، أن أغلب أقسام القرآن -وخصوصاً ما كان منها بالظواهر الكونية- سيقت للاستدلال بها على المقسم عليه.. وهو يتناول أصول الإيمان من تقرير الوحدانية وإثبات الرسالة والبعث والجزاء والوعد والوعيد، وما إلى ذلك، وهذا في الغالب يكون فيما إذا كان المقسم هو الله تعالى. وأما الأقسام المضافة إلى غيره تعالى، فتتناول أشياء أخرى زيادة على ما ذكر. قال صاحب التبيان في بيان المقسم عليه: "فهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها تارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان" أ.

---

1 - الآية الأولى من سورة يس.

2 - الآية الأولى من سورة الدخان.

3 - الآيتان 38 – 39 من سورة الحاقة.

هـ[1]. هذا إلى جانب أقسام أخرى محكية على ألسنة الخلق المقسم عليه، فيها أشياء أخرى متصلة بالعقيدة وأحوال الناس ومعاملاتهم فيما بينهم.

وفيما يلي أمثلة للأنواع الستة المذكورة للمقسم عليه:

1. مثال القسم على التوحيد، قوله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[2].
2. وعلى أن القرآن حق، قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[3].
3. وعلى أن رسالة الرسول حق، قوله تعالى: ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4].
4. وعلى الوعد والوعيد والجزاء، قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[5]
5. وعلى حال الإنسان، قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[6].
6. القسم على أشياء أخرى متصلة بالعقيدة وأحوال الناس، ولهذا النوع أمثلة كثيرة ساقها القرآن في معرض القصص ومحاجة الأنبياء لأقوامهم في أمور مختلفة، منها:

أ – ما حكاه الله على ألسنة الكفار حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾[7].

---

1 – التبيان في أقسام القرآن، للعلامة ابن القيم الجوزية، ص4.

2 – الآيات 1-4 من سورة الصافات.

3 – الآيات 75-77 من سورة الواقعة.

4 – الآيات 1-3 من سورة يس.

5 – الآيات من 1-6 من سورة الذاريات.

6 - الأيتان 1-2 من سورة العصر.

7 - الآية 109 من سورة الأنعام.

ب - ما ذكره القرآن حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام حين أرادوا تبرئة أنفسهم من السرقة، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[1].

ج - ما ذكره الله في قصة إبراهيم الخليل حين أراد تحطيم أصنام قومه التي عبدوها من دون الله، فقال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[2].

هذه بعض الأمثلة لأنوع القسم من حيث المقسم عليه والمقسم به، أثبتها كنموذج يعرف منه القارئ ما جاء في القرآن من أقسام لأغراض مختلفة وحكم متعددة، كما سيأتي بيانها في نقطة قادمة، إن شاء الله تعالى.

جـ: القسم الاستدلالي

قال الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير: " إن الأيمان التي حلف الله بها كلها دلائل أخرجها في سورة الأيمان" أ. هـ[3]. وقبل الاستدلال على أن كثيراً من الأقسام القرآنية أدلة خرجت في صورة أقسام، ينبغي أن أبينّ الملاحظات التالية:

1- إن القسم الاستدلالي معروف عند العرب قبل نزول القرآن ومستعمل في التخاطب بينهم.

2- إن مما يلفت النظر ويشير إلى هذا المعنى[4] ويؤيده، أن الأقسام الصريحة كلها جاءت في القرآن المكي المليء بالبراهين لمقارعة المشركين وإقناعهم بالدين الجديد، و لم يترل

---

1 - الآية 73 من سورة يوسف عليه السلام.

2 - الآية 57 من سورة الأنبياء.

3 - جـ7، ص627، ط الشرقية.

4 - وهو كون أغلب الأقسام القرآنية أدلة خرجت في صورة أقسام.

منها شيء في المدينة سوى قوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ...﴾[1].

3- أن القسم الاستدلالي جاء خاصاً بما كان بغير اسم الله أو صفة من صفاته وتركز في القسم بالظواهر الكونية العجيبة، كالشمس والقمر والرياح والجبال والسموات، ونحو ذلك.

4- أن الأقسام الاستدلالية واقعة من جانب الله ومسندة إليه عز وجل، وأما الأقسام المضافة إلى الخلق فهي لتعظيم المقسم به ولتأكيد المقسم عليه.

وبعد بيان هذه الملاحظات، إليك ما يدل على أن الأقسام أدلة مستنبطة من آيات القرآن زيادة على ما ذكر:

1- التعميم في المقسم به في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يدل على أن قسمه تعالى بمخلوقاته جاء للاستدلال وليس للتعظيم، إذ ليس من المعقول أن يعظم كل شيء في الوجود لأن هناك في الكون ما لا يستحق التعظيم أصلاً، وأما كون كل شيء له دلالة وعلامة على وجود خالقه جل شأنه، فظاهر واضح وينبغي اعتباره والمصير إليه، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

2- يلاحظ في بعض الأقسام أنه متبوع بما يرشد إلى كونه آية للعقلاء، أو إلى كونه قسماً عظيماً، قال الله تعالى في الأول: ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[2]، وقال في الثاني: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[3]. ففي الآية الأولى اتبع القسم بما

---

1 - الآية 65 من سورة النساء.

2 - الأيات 1-5 من سورة الفجر.

3 - الأيتان 75-76 من سورة الواقعة.

يكون بعد الأدلة غالباً، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وفي الثانية نراه صرح بتعظيم القسم لا المقسم به، مما يدل على أن القسم سبق للاستدلال.

3- ما نشاهده من استعمال القرآن لأشياء من المخلوقات في مجال الاستدلال والاعتبار، ثم نراه يستعمل هذه الأشياء نفسها في القسم، فيقسم المولى جل شأنه بالليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والرياح والبحار، وفي الاستدلال يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، فذكر هذه الأشياء في الاستدلال له نظير ولا كذلك التعظيم فلا داعي إلى المصير إليه واعتباره.

4- ما يلاحظ في بعض آيات القسم من ذكر المقسم به على وجه يرشد إلى جهة الاستدلال به لا إلى تعظيمه وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[3]، وقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[5]، فهوى النجم وملامة النفس وخنوس الكواكب أقرب إلى الاستدلال منها إلى التعظيم.

---

1 - الآية 67 من سورة النحل.

2 - الآية 164 من سورة البقرة.

3 - الآية الأولى من سورة النجم.

4 - الآيتان 15-16 من سورة التكوير.

5 - الآية 2 من سورة القيامة.

وهنا سؤال يقول: إذا كانت الأقسام أدلة، فلماذا لم تأت على طريقة الاحتجاج المعهودة؟

ويجاب عن هذا السؤال بأن الله تعالى جرت سنّته في القرآن أن يواجه خصومه من المشركين بأساليب عديدة من الكلام، وأفانين مختلفة من الاحتجاج، وهي قد تتفاوت في القوة واللطافة والفصاحة والبلاغة، ونجد الأسلوب فيه يتبدل لمجرد إبعاد الملل عن السامع أو لكونه قاصر الفهم عن إدراك نوع معين من الأدلة، فينتقل به إلى نوع آخر أقرب إلى فهمه. قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[1]، وإننا إذا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن من أهم أساليبه في إقناع الخصوم – القسم- ولا غرابة، فالقرآن نزل بلغة العرب، والقسم طريقة مألوفة عندهم ومحترمة أيضاً تدل على صدق المتكلم وجدّه فيما يقول، وقد كانوا يتوقون الحنث في اليمين ويقولون: اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع –خراب- والله سبحانه لما رأى عناد العرب وإصرارهم على التشويش على القرآن وإعراضهم عن سماع البراهين الساطعة، أراد أن يسوق لهم طرقاً أخرى للاستدلال، وهي الأقسام الاستدلالية.

د – القسم المنفي

مثل قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[2]، وهو وارد في القرآن في ثمان من الآيات، وقد اختلف المفسرون في (لا) النافية الداخلة عليه وفي المراد منها على أربعة أقوال، وفيما يلي بيانها ومناقشتها، وبيان الراجح منها:-

---

1 - الآية 65 من سورة الأنعام.

2 - الآيات 1-3 من سورة القيامة.

القول الأول: أن (لا) في هذا القسم مزيدة للتأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[1]، وقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾[2]، وهو ما ذهب إليه ابن الحاجب[3]، وقد ضعف من وجهين: أحدهما، أن الزيادة في القرآن لا يكاد يقرها أحد وهي إنما تكون مستساغة عند من يقول بها إذا كانت في وسط الكلام، أما في أوله فلا، لأن الصدارة تقتضي الاهتمام، والزيادة تقتضي عدمه فيتناقضان. ثانيهما: أن هذا القول يفضي إلى الطعن في القرآن إذ هو يجوز جعل النفي إثباتاً وبالعكس، وهذا لا يجوز في حق القرآن الكريم.

القول الثاني: أن (لا) هذه ليست نافية، وإنما هي لام قسم أشبعت فتحتها فتولدت منها ألف نظيرة قولهم: أعوذ بالله من العقراب. يريدون العقرب وهو ما ذهب إليه البصريون، واختيار أبي حيان[4]، وتؤيده قراءة الحسن وعيسى لأقسم بدون (لا) النافية، وقد اعترض عليه بأن المضارع الذي دخلت عليه لام القسم لا بد أن يكون مقترناً بنون التوكيد الثقيلة، وبأن اللام التي دخلت على فعل القسم موطئة لقسم محذوف فيكون في الجملة قسم على قسم، وهو خطأ يتره القرآن عنه، ولذا وصفه الفخر الرازي بأنه ركيك.

القول الثالث: أن (لا) في القسم المنفي نافية لكلام محذوف يفهم مما سبق مثل أن يقال: لا صحة لما تدعون أقسم بيوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ونسب إلى سعيد بن جبير وبعض النحاة وذكره الزركشي في البرهان فقال: " وقيل هي رد لكلام تقدم من الكفار، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة فيجوز أن يكون الادعاء

---

1 - الآية 29 من سورة الحديد.

2 - الآية 12 من سورة الأعراف.

3 - من حاشية الدسوقي على المغني لابن هشام، جـ1، ص241.

4 - ذكره الألوسي في روح المعاني، جـ28، ص 152.

في سورة والرد عليهم في أخرى"[1]. وقد اعترض على هذا القول بأنه يلزم عليه حذف اسم (لا) وخبرها وهو ممنوع إلا في جواب سؤال مثل قولنا: لا جواباً لمن قال هل من طالب في الفصل، وأيضاً هذا المحذوف لا دليل عليه ويأباه تكرار النـــفي في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾، قال الإمام الفخر الرازي وهو يقدح في فصاحة الكلام[2].

القول الرابع: أن (لا) في هذا القسم نافية باقية على أصلها والقسم منفي، ويكون الغرض التوصل إلى التوكيد واثبات المقسم عليه بأبلغ وجه واكده، وهذا القول هو أرجح الأقوال وأوْلاها بالاعتبار وأليقها ببلاغة التنزيل لسلامته من النقد والتضعيف، واختاره أبو مسلم وصححه الرازي، وقال فيه الشيخ عبد القادر المغربي: "إنه يؤكد الخبر أشد تأكيد"[3].

والمعنى على هذا القول يحتمل وجوهاً، منها:-

1- أن المقسم عليه لظهوره وتضافر الحجج عليه لا يحتاج إلى قسم بهذه الأشياء المقسم بها فكأنه قال في هذه الآية: إني أسأل الإنسان الذي ينكر البعث غير مقسم بهذا اليوم وتلك النفس أنّا لا نجمع عظامه... الخ.

2- أن يكون الغرض من هذا القسم وأمثاله تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه، والمعنى لا أقسم بهذه الأشياء لإثبات هذا المطلب العظيم، فإن إثباته أظهر وأجلى وأهم من أن يقسم عليه بهذه الأشياء الهينة الشأن.

---

1 - البرهان في علوم القرآن، جـ3، ص 80.

2 - جـ8، ص260، من التفسير الكبير.

3 - من تفسيره لجزء تبارك، ص16.

ثالثاً:- حكمة استعمال القسم في القرآن الكريم

الأصل في استعمال القسم عامة أن يكون لتأكيد الخبر في نفس المخاطب وإزالة الشك الذي قد يلحقه في صدق المتكلم، إلا أن القرآن الكريم جاء بأغراض أخرى كثيرة وأسرار وحكم دقيقة لاستعمال القسم في آيات كثيرة استنتج العلماء بعضها من القرآن، أذكر أهمها فيما يلي:

1- توكيد المقسم عليه وتقريره وإظهاره في سورة الواقع المحسوس المشاهد، إذ هو في الغالب يكون من الأمور الغيبية المعنوية أو الخفية. قال في التبيان: "والمُقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور المغيبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها" أ. هـ[1]، مثل البعث والجزاء الأخروي والوعد والوعيد.

2- إثبات صدق النبي ﷺ يفهم هذا من الأقسام التي وردت على لسانه ﷺ كقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[4]. وقد علم مما سبق أن العرب كانوا يعتقدون أن الأيمان الكاذبة تخرب الديار فلو كان محمد كاذباً لوقع له شيء من شؤم هذه الأيمان، ولكن الواقع يشهد بعكس هذا، فقد علا شأنه وانتشرت دعوته وظهر دينه فثبت صدقه.

3- تصحيح العقائد والإرشاد إلى خطإ من اعتقد في بعض الأشياء والحوادث الكونية السوء والشر مبيناً بالقسم بها أن الشر ليس من ذوات هذه الأشياء، بل من اعتقادهم

---

[1] - التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم الجوزيه، ص3.

[2] - الآية 7 من سورة التغابن.

[3] - الآية 3 من سورة سبأ.

[4] - الآية 53 من سورة يونس عليه السلام.

فيها ما ليس من شأنها، فكشف لهم أنها جديرة بالاحترام والتقدير لا كما يعتقدون فيها من الشر والشؤم. وفي القسم بهذه الأشياء أيضاً رد لاعتقاد مَن قال: إن للأجرام السماوية العلوية تأثيراً في العالم السفلي، يشهد لهذا ما يقترن بالمقسم به من أوصاف تدل بوضوح على أنها حادثة متغيرة مسخرة بيد خالقها واقعة تحت قهره وسلطانه، فوصف النجم بالهوى والكواكب بالخنوس والشمس بالضحو والملائكة بالاصطفاف لعبادة الله وحده، كل ذلك يدل على ما ذكر ويشهد له.

4- ما في القسم من الإيجاز المحمود عند العرب حتى قالوا: إن الإيجاز هو البلاغة، وإنما اعتبر أسلوب القسم إيجازاً لما يحويه من أدلة متعددة جمع بعضها إلى بعض ودلت على أمر واحد (وهو المقسم عليه)، كانت أشد أثراً على السامع، كما نرى هذا في سور الطور والشمس والتين والبلد، وقد كان العرب لذكائهم وفطنتهم يحبون الإيجاز ويؤثرونه، وهو ميزة القرآن المكي الذي يحوي الكثير من الأقسام.

5- الإشارة ببعض الأشياء المقسم بها إلى أحداث بارزة كان لها الأثر الطيب في حياة البشرية جميعها، يتصور هذا في قوله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1]. فقد قيل في تفسيرها: إن هذه الأشياء الثلاثة المقسم بها إشارة مجملة إلى تاريخ البشرية من عهد آدم عليه السلام حتى العصر الحاضر: فالتين يرمز إلى عهد ما قبل الطوفان، لأن شجرة التين هي التي استتر آدم وحواء بورقها حين بدت لهما سوءاتهما كما قيل، والزيتون كناية عن عهد ما بعد الطوفان إلى زمن موسى عليه السلام، وذلك لأن الزيتونة هي الشجرة التي أكل منها نوح عليه السلام حين استوت سفينته على الجودي. وطور سينين معبر به عن عهدي موسى وعيسى عليهما السلام. والبلد الأمين

---

1 - الآيات 1-4 من سورة التين.

إشارة إلى النور المبين سيدنا ونبينا محمد ﷺ الذي عمت رسالته الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[1].

والذي يظهر - والله أعلم- أن المراد من التين والزيتون موضعا منبتهما ليتناسب مع ذكر البلد الأمين وهو مكة المكرمة - أعزها الله- وحكمة القسم بهذه المواقع الثلاثة لأنها مكان ظهور الرسالات السماوية العظمى على يد ثلاثة من مشاهير الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالتين والزيتون يرمزان لمكان نزول رسالة عيسى بن مريم، والطور مكان نزول رسالة الكليم موسى عليه السلام، والبلد الأمين موضع مبعث رسولنا محمد ﷺ. ويمكن أن يراد من التين والزيتون نفس الشجرتين المعروفتين أقسم الله بهما لما لهما من المنافع العظيمة والمزايا الكثيرة. قال القشيري رحمه الله تعالى: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين، إما لفضيلة أو لمنفعة، فالفضيلة كقوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، والمنفعة كقوله: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ أ.هـ[2].

رابعاً:- شبهة واردة على القسم في القرآن وإبطالها

هناك شبهة يمكن أن تخطر على ذهن الباحث في أقسام القرآن، وقد أثارها بعض المفسرين كالفخر الرازي، وأردت أن أعرضها بشيء من التفصيل وأتبعها بالرد والإبطال، فأقول:

1 - من أوضح التفاسير لابن الخطيب، ص 756.

2 - للبرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ3، ص42.

الشبهة:-

يقولون قد ورد القسم في القرآن بكثير من المخلوقات، والقسم يقتضي تعظيم المقسم به، والتعظيم لغير الله تعالى منهي عنه شرعاً[1]، فكيف يمكن التوفيق بين هذا النهي والأقسام الواردة بالمخلوقات؟

جواب هذه الشبهة وردّها:-

جرت سنّة الله في كتابه أن يقسم أحياناً ببعض مخلوقاته أو شأن من شؤونه العظيمة كالقلم والشمس والملائكة..الخ، كما تقدم في الأمثلة، ليلفت أنظار خلقه إلى الكون وما فيه من نظام بديع محكم دالّ على عظيم قدرته وبديع حكمته، فكل شيء يجري بأمره إلى أجل مسمًّى وبكيفية خاصة لا يختلف عما رسمه الله له، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[2]، فالكائنات بأسرها، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، صنعته تعالى خلقها بقدرته وأبدعها بحكمته، وهي كلها في معرض ملكه سواء في الإعلان عن تلك القدرة وهذه الحكمة. ففي كل ذرة من ذرات هذا الكون العظيم آية تنطق بجلالته وعظمته، فلله تعالى أن يقسم بأي من مخلوقاته أو شؤونه، وأن يقيم من ذلك شاهداً لما يريد، ودليلاً على ما يشاء.

---

1 - ورد النهي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه البخاري في صحيحه جـ 10، ص 235 من فتح الباري، ونصه: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".

2 - الآية 8 من سورة الرعد.

وأما التعارض الظاهري بين القسم بالمخلوقات وبين النهي الوارد في الحديث الصحيح، فللعلماء في الإجابة عنه رأيان، أذكرهما فيما يلي مع بيان الراجح منهما مع التوجيه:

أولهما: أن المقسم به في هذه الآيات ليس هو أعيان هذه الأشياء المقسم بها ظاهراً، وإنما هو مضاف محذوف مقدر بنحو خالق ورب وبارئ، فيقال مثلاً: ورب الصافات وخالق النجم وبارئ الطور.. وهكذا في جميع الأقسام المماثلة، وعليه فتكون جميع الأقسام القرآنية أو أغلبها باسم من أسماء الله تعالى أو بصفة من صفاته إما صراحة أو تأويلاً، والذي جعل أصحاب هذا القيل يؤولون الآيات هو ما يلي:

أ - ما في القسم من تعظيم المقسم به، والتعظيم في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى، ولهذا أولوا ما يوهم خلافه من الآيات بتقدير مضاف.

ب - النهي الصريح الصحيح عن الحلف بغير الله أو صفة من صفاته، والنهي يقتضي قبح المنهي عنه، لذا يجب تأويل ما يخالفه حتى يتفق مع الحديث الوارد في الموضوع.

ج - قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[1]، فقد جاء الحلف بذات الله تعالى بعد الحلف بالسماء والأرض والنفس، فالتصريح بالباني والطاحي والمسوّي يؤذن بأن المعنى في جميع الأقسام المماثلة على هذا النحو.

ثانيهما: أن المقسم به هو أعيان هذه الأشياء المصرح بها في الظاهر وليس هناك مضاف محذوف مقدر، كما زعم أصحاب الرأي الأول، وضعفوا الرأي الأول بما يلي:

أ - أن القسم بهذه الأشياء وقع بأعيانها في الظاهر، والأصل عدم التأويل والتمسك بالظاهر إلى أن يتحقق خلافه والعدول إلى تقدير المضاف خلاف الظاهر، فلا يصار

---

[1] - الآيات 5-7 من سورة الشمس.

إليه إلا بدليل، وما ذكر من الحديث لا يصلح دليلاً، إذ ليس من الضروري أن يكون ما منع منه العباد يكون ممنوعاً بالنسبة للمعبود سبحانه وتعالى لأن علة النهي - وهي مظنة الشرك بتعظيم غير الله- لا وجود لها بالنسبة لمولانا عز وجل، فهو تعالى يقسم بأشياء دانت له بالربوبية، وخضعت لجبروته وعظمته، فله أن يقسم بما شاء من خلقه على ما يشاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[1].

ب - أن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ ..الخ، مردود، لأنه تعالى أقسم بالسماء ثم عطف عليها ما بناها أي بانيها، فعلى هذا الرأي الذي يقدر المضاف يكون المعنى ورب السماء وبانيها وبارئ الأرض وطاحيها، وهكذا فيكون تكراراً لقسم واحد في موضع واحد وهو لا يجوز.

بيان الراجح مع التوجيه:

ومن هنا يظهر أن الرأي الثاني أوجه من الأول وأقرب إلى الصواب وأليق بلطائف التنزيل، لأن الأول يجعل أغلب الأقسام في القرآن بالله، إما صراحة أو تأويلاً، وبالتالي فهو يبعدنا عن التماس الحكم من قسمه تعالى بمخلوقاته، ومن المرجح أنه لا يقسم بها عبثاً بل لينبه إلى ما هي عليه من جليل الصنعة وباهر الحكمة وما حوت من إتقان، ليكون ذلك دليلاً على عظمة خالقها وعلى وحدانيته، ويكون بمثابة تضافر الحجج على المدعي الواحد، فهو إذاً قسم واستدلال بما في المقسم به من أوجه الدلالة المختلفة، من أجل ذلك أقول: إنه لا داعي إلى التأويل، وإنما القسم واقع بأعيان الأشياء المخلوقة وحقائقها، وإذا استوى التأويل وعدم التأويل فعدمه أولى كما يقولون. قال الإمام الألوسي في تفسيره أول سورة الصافات: " فالقسم بتلك الجماعات أنفسها ولا

---

[1] - الآية 23 من سورة الأنبياء.

حجر على الله عز وجل فله أن يقسم بما شاء فلا حاجة إلى القول بأن الكلام على حذف مضاف" أ.هـ[1]، والله أعلم.

[1] - روح المعاني، جـ23، ص67.

الأسئلة

س1) تحدث عن أهمية القسم في القرآن مبيناً أغلب وروده هل في القرآن المكي أو المدني، علل ما تقول ثم بين معنى القسم لغة، واذكر العلاقة بينه وبين الحلف في الاستعمال مبيناً مواضع الاختلاف والاتفاق بينهما؟

س2) حدد وأوضح الأسلوب الذي جاء على نمطه القسم في القرآن مبيناً أنواعه وأقسامه من حيث المقسم به والمقسم عليه بجملة أولاً ثم فصلها ومثل لها ثانياً؟

س3) من الأقسام الواردة في القرآن القسم الاستدلالي، بين المراد به ومثل له بأمثلة متعددة لتوضيح هذا المعنى؟ ولماذا جاء هذا النوع بأسلوب القسم ولم يأت بطريق الاحتجاج المعهود؟

س4) من الأقسام في القرآن القسم المنفي مثل له، واذكر آراء العلماء في المراد من لا النافية الداخلة عليه؟ وهل هي باقية على أصل معناها أو لا ؟ فصل هذا الخلاف وبين الحكمة من استعمال القسم في القرآن؟ بوجوهها الخمسة واذكر الشبهة المثارة حول القسم في القرآن وأتبعها بالرد والإبطال، مبيناً خلاف العلماء في دفع التعارض بين القسم بالمخلوقات وبين النهي عن القسم بغير الله تعالى، واذكر أرجح الآراء وأولاها بالقبول مع التعليل والتوجيه؟

المبحث السابع

حكم حفظ القرآن

وتلاوته وتعليمه

وآداب القارئ والمستمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

أهميـــته:-

مما لا ريب فيه أن القرآن كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيل من حكيم حميد، وهو القول الفصل المنزه عن الهزل، وهو حبل الله المتين من تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. وكتاب هذا شأنه وتلك أوصافه ما ينبغي لمسلم عاقل أن يمله أو لا يعيره اهتمامه، فكل وقت يقضيه المسلم مع القرآن لهو الوقت الفريد المليء بالخير والسعادة المحاط بالعناية الإلهية والرعاية الربانية.

ولكي تسهل العناية بالقرآن على المسلم وينتفع بها، وضح العلماء أموراً وآداباً[2] مطلوبة منه نحو القرآن الكريم ليحصل له الثواب الموعود والخير المرتقب، علماً بأن هذه الأمور ليست في درجة واحدة من حيث الحكم بل بعضها من قبيل الواجب وأغلبها من المرغب فيه والمطلوب على سبيل الاستحباب، وفيما يلي تفصيل لأهمها:

أولاً:- حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب بالتجويد والأداء

كما روي عن القراء المعروفين بالسند المتصل إلى الحضرة النبوية، وهو فرض كفاية على الأمة لئلا يتطرق إليه التحريف والتبديل، فإذا قام بحفظه بعضهم بحيث يصل عدد الحفظة حد التواتر الذي تقوم به الحجة ويتصل السند، سقط الواجب عن الباقين،

---

1 - الآية 16 من سورة المائدة.

2 - هذه الأمور والآداب اقتبسوها من السنّة النبوية المطهرة.

وإن أهملوه جميعاً عمهم الإثم لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1]. وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: "أوصى رسول الله ﷺ بكتاب الله"[2]، والمعنى - والله أعلم- أوصى بحفظه والعمل به، ومن وفقه الله تعالى إلى حفظ القرآن فقد أوتي أفضل النعم وأجلها يتطلع إليه الناس ويغبطونه عليها ويتمنون أن يعطيهم الله مثله، مصداقاً لقوله ﷺ: " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار"[3]. ومعنى قوله: لا حسد يعني - والله أعلم- لا غبطة لا حقيقة الحسد المذموم[4]. والغبطة من غبطه يغبطه بالكسر غبطاً، وهي أن يتمنى الإنسان مثل ما عند صاحبه من غير أن يتمنى زوال نعمة غيره، ويدل على هذا المعنى ما ورد في رواية أخرى من قوله ﷺ : "لا تنافس بينكم إلا في اثنتين رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به.." ثم ذكر نحو ما في الرواية التي معنا. والتنافس بمعنى الغبطة وكل منهما محمود شرعاً وقال ﷺ : "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث ولا ريح لها"[5].

---

1 - رواه البخاري في صحيحه، جـ6، ص236.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، جـ6، ص235.

3 - رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، جـ6، ص236.

4 - الحسد المذموم هو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت هذه النعمة للحاسد أم لا، وهو مذموم شرعا ومهلك لمن اتصف به. انظر تفسير ابن كثير، جـ4، ص38، من فضائل القرآن.

5 - رواه البخاري عن أبي موسى، جـ6، ص235.

وليس الثواب الموعود به على قراءة القرآن مقصوراً على من يحفظه عن ظهر قلب، بل ولو كان المسلم لا يحـفظه ويقرأه في المصحف ويجد صعوبة في التلاوة، المهم أن تكون للمسلم عناية بالقرآن واهتمام به مع المحافظة ما أمكنه على تصحيح القراءة وإجادتها. فقد قال رسول الله ﷺ: " الماهر بالقرآن[1] مع السفرة الكرام البررة[2] والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"[3]، ومعنى كون الماهر مع السفرة وهم الملائكة: أنه معهم في منازلهم في الآخرة، أي يكون معهم رفيقاً لهم في الجنة لاتصافه بصفتهم في حملهم كتاب الله تعالى. ومعنى يتعتع فيه: يتردد فيه لقلة حفظه، والأجران أحدها في تلاوته والآخر في تعبه ومشقته، ودرجات الماهر فوق ذلك لأنه قد كان القرآن شاقاً عليه أيضاً، ثم ترقى إلى أن شبّه بالملائكة. قال القاضي عياض: "وليس المعنى أنه أكثر أجراً من الماهر بل الماهر أكثر لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله تعالى بمن اعتنى بـــه حتى مهر فيه[4]".

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يــقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.." الحديث[5]. وعن عقبة بن أبي عامر رضي الله تعالى عنه قال: "خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان[6] أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين[7] في غير إثم ولا قطع رحم

---

1 - الماهر بالقرآن الحافظ الحاذق في الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق لجودة حفظه.

2 - السفرة: الملائكة عليهم السلام، جمع سافر ككتبة وكاتب، سموا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

3 - رواه الإمام مسلم في صحيحه، جـ6، ص84.

4 - انظر تفسير القرطبي، جـ1، ص7.

5 - رواه مسلم، جـ1، ص84.

6 - بطحان بضم الباء موضع بالمدينة.

7 - تثنية كوماء، وهي من الإبل العظيمة السنام السمينة، والصفة بضم الصاد وتشديد الفاء، ناحية في المسجد النبوي يقيم فيها فقراء المسلمين.

فقلنا يا رسول الله ﷺ : نحب ذلك فقال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم[1] أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل[2]، في هذا الحديث دليل على فضيلة تعلم القرآن وقراءته وتعليمه.

وفي صحيح البخاري: وكان القراء أصحاب مجالس عمر بن الخطاب ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً[3].

وهذا مما يدل على عظيم تقدير الصحابة رضوان الله عليهم لحفاظ القرآن وقرائه وإجلالهم واحترامهم.

وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا اتق الله، فما أعرف أحداً خيراً منك إذ عملتَ بما علمت[4].

ثانياً:- تعليم القرآن لأبناء المسلمين

وهو من فروض الكفاية على الحفّاظ الذين لهم أهلية له إذا تعددوا، وفرض عين على من انفرد بها في بلد من بلاد المسلمين، فلا يجوز له الامتناع إذا طلب منه، وهو أيضاً من أفضل القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى وأنفعها في الدنيا والآخرة، كما في الحديث السالف الذكر وهو قوله: "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه"[5]. قال العلماء: وفي هذا

---

1 - ضبط الفعل بالرفع والنصب وتشديد اللام من التعليم، بمعنى أنه يعلم غيره، وبتخفيفها من العلم، بمعنى أنه يتعلم من غيره.

2 - رواه مسلم في صحيحه، جـ6، ص89.

3 - صحيح البخاري، جـ6، ص74.

4 - انظر مع القرآن الكريم للشيخ محمود الحصري، ص17، والقرطبي، جـ1، ص7.

5 - رواه البخاري عن عثمان بن عفان، جـ6، ص236.

الحديث بيان فضل تعليم القرآن والترغيب فيه، وقد سئل سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن؟ فقال: يقرأ القرآن لأن رسول الله ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه..". وقال ابن كثير في شرح هذا الحديث: وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكملة في أنفسهم المكملون لغيرهم وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي وهذا شأن الأخيار الأبرار أن يتكملوا في أنفسهم، وأن يسعوا في تكميل غيرهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فجمع بين الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه، وغير ذلك مما يبتغي به وجه الله تعالى وعمل هو في نفسه صالحاً وقال قولاً صالحاً أيضاً فلا أحسن حالاً من هذا[2]. وفي القرطبي قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم. وفي البرهان للزركشي قال أصحابنا: تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة، صرح به الجرجاني في الشافي[3] والعبادي وغيرهما، والمعنى فيه كما قال الجويني: "ألا ينقطع عدد التواتر فيه ولا يتطرق إليه التحريف والتبديل فإذ قام بذلك قوم سقط عن الباقين وإلا فالكل آثم" أ.هـ[4].

وهنا سؤال وهو: هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وللإجابة على هذا السؤال يقول الزركشي في البرهان: يجوز أخذ الأجرة على التعليم[5]، ففي صحيح البخاري: أن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله[6]. وقيل إن تعين عليه لم يجز واختاره الحليمي، وسئل ابن رشد من المالكية عن الإجارة على تعليم القرآن فأجاب: بأن مذهب

---

1 - الآية 33 من سورة فصلت.

2 - ابن كثير في فضائل القرآن من تفسيره، جـ4، ص40.

3 - الشافي، كتاب في الفقه الشافعي يتكون من أربعة مجلدات.

4 - البرهان للزركشي، جـ1، ص456.

5 - المراد تعليم القرآن.

6 - جـ7، ص171.

مالك وجل العلماء جواز الإجارة على تعليم القرآن ومن لم يجزها بشرط أو بغيره محجوج بمذهب الجمهور[1]. وقال أبو الليث: التعليم[2] على ثلاثة أوجه، أحدها أن يعلم حسبة لله تعالى ولا يأخذ عوضاً، ثانيها أن يعلم بالأجرة، وثالثها أن يعلم بغير شرط فإن أهدى إليه قبل. فالأول مأجور عليه وهو عمل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والثاني مختلف فيه، فقال المتقدمون بالمنع، وقال المتأخرون بالجواز. قال السيوطي وهو الأرجح. والثالث جائز بالإجماع، فإن النبي ﷺ كان معلماً للخلق وكان يقبل الهدية ولحديث اللديغ الذي رقى من قبل الصحابة بالفاتحة وجُعل لهم جُعل، فقال لهم الرسول ﷺ : "خذوها[3]، واضربوا لي بسهم".

ثالثاً:- تلاوة القرآن وتعهده، والتحذير من نسيانه بعد حفظه

ومن واجبات حافظ القرآن تعاهده بالتلاوة والتدبر في أغلب أوقاته وأحواله، زيادة عل العمل والتطبيق لأحكامه واتباع إرشاداته وتوجيهاته، وقد وردت أحاديث صحيحة في الحث على تعاهد القرآن واستذكاره ومداومة تلاوته، منها ما يلي مع الشرح والإيضاح:-

1. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها"[4]. ومعنى تعاهدوا أي جددوا عهداً بملازمته لئلا تنسوه وواظبوا عليه بالحفظ والترداد. قال الطيبي: "شبّه القرآن الكريم

---

[1] - البرهان، جـ1، ص457، الحليمي بفتح الحاء هو أبو عبد الله حسن بن الحسن الشافعي صاحب المنهاج على شعب الإيمان، توفي سنة 403هـ، جـ1، ص441، والبرهان نقلاً عن كشف الظنون.

[2] - المعيار المغرب، جـ8، ص252.

[3] - الضمير للشياه المذكورة في الحديث، انظر البخاري، جـ7، ص170 وما بعدها.

[4] - رواه البخاري في صحيحه، جـ6، ص238.

وكونه محفوظاً عن ظهر قلب بالإبل النافرة وقد عقل عليها بالحبال، وليس بين البشر والقرآن مناسبة قريبة لأنهم - أي البشر- محدثون، وهو -أي القرآن- قديم والله تعالى بلطفه منح حافظ القرآن هذه النعمة العظيمة، فينبغي له أن يتعاهده بالحفظ والمواظبة على تلاوته"[1].

2. وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه[2].

3. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " بئسما لأحدكم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّيَ استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها"[3]. بئس فعل ذم وكيت وكيت بفتح التاء يعبر بها عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل، قال القاضي عياض: "أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول، أي بئست الحالة حال من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه"[4]، وقوله: "استذكروا القرآن" أي واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به، وقوله تفصياً بمعنى تفلتاً، كما في الرواية الأخرى للحديث، فالتفصي التخلص والانفصال، والنعم بفتح النون المشددة والعين، الإبل والبقر والغنم. والمراد هنا الإبل خاصة لأنها هي التي تعقل، والعقل بضم العين والقاف وقد تسكن جمع عقال مثل كتب وكتاب وهو الحبل الذي تعقل به الإبل، والباء في بعقلها بمعنى (من) كما في قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾[5] أي منها[6].

---

1 - انظر مع القرآن الكريم للشيخ الحصري، ص27.
2 - رواه مسلم، جـ6، ص76.
3 - رواه مسلم أيضا في جـ6، ص77.
4 - انظر شرح مسلم للنووي، جـ6، ص76.
5 - الآية 6 من سورة الإنسان.
6 - النووي في شرح مسلم، جـ6، ص77.

وقال ابن كثير: "ومضمون هذه الأحاديث كلها الترغيب في كثرة تلاوة القرآن الكريم واستذكاره وتعهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير، نسأل الله العافية منه". انتهى[1].

4. ما روي من قوله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشرة أمثالها"، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف[2]، هذا الحدث يدل في وضوح على عظم أجر قارئ القرآن ومعلمه ودارسه.

المقدار الذي ينبغي أن يقرأه المؤمن في اليوم والليلة:-

وأما ما تستحب قراءته في سائر الأيام من القرآن، فقد جاء فيه عن النبي ﷺ أنه: سبع القرآن في اليوم والليلة حسب التحزيب المروي عن الصحابة في عهده ﷺ في حديث حذيفة الثقفي رضي الله تعالى عنه[3] وهو على النحو التالي: ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من سورة ق إلى آخر القرآن وهي خمس وستون سورة، بحيث يختم القارئ في كل أسبوع مرة. وفي أول الحديث الآتي ترخيص بقراءة القرآن مرة في الشهر يقرأ في كل يوم جزءاً من ثلاثين حسب التجزئة المعروفة اليوم أو غيرها، والدليل على ما ذكرت الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأ القرآن في شهر قلت إني أجد قوة حتى قال: فاقرأه في سبع ولا تـــزد على ذلك[4].

---

1 – تفسير ابن كثير، جـــ4، ص42، فضائل القرآن.

2 – رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

3 – انظر الإتقان، جـــ 1، ص63.

4 – رواه البخاري في جـــ2، ص243، وانظر فتح الباري، جـــ7، ص474.

وهنا ملاحظة ينبغي التنبيه عليها، وهي عدم التقيد عند الانتهاء من القراءة بالوقوف عند نهاية الجزء أو الحزب المعروفين، إذ ليس الوقف عندها بمستحب، وإنما المستحب الوقف عند تمام الكلام كنهاية السورة مثلاً، ومن الأمثلة التي نص العلماء عليها للوقف غير المستحسن نهاية الجزء الرابع عند قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، والابتداء بعده بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وأيضا نهاية الجزء الثاني عشر عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، والابتداء بقوله بعده: ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي﴾[1].

حكم نسيان القرآن بعد حفظه:-

علم مما تقدم أن حفظ القرآن من النعم العظيمة، وتلاوته من أفضل القرب، وكلما كانت النعمة عظيمة كان التفريط فيها من أعظم الذنوب. قال بعض العلماء ومنهم النووي[2]: إن نسيان القرآن من الكبائر، مستدلّين بالأحاديث المتقدمة التي تنهى عن نسيان القرآن وتأمر بتعهده واستذكاره، وبأحاديث أخرى لم أذكرها هنا وبما يفهم من بعض الآيات القرآنية الكريمة كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[3]. قال الضحاك بن مزاحم من التابعين:

---

1 - ومن هنا قال العلماء: إن قراءة سورة من القرآن بتمامها أفضل من قراءة جزء سورة يماثلها، لأن تمام الكلام قد يخفى على بعض الناس في بعض الأحيان، انظر مع القرآن للحصري، ص27.

2 - انظر اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص142.

3 - الأيات 124-126 من سورة طه.

"ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب أحدثه لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[1] ونسيان القرآن من أعظم المصائب[2]. انتهى.

والآن، وقد علمنا أن نسيان القرآن بهذه الخطورة، فلا احتراز عنه إلا بمداومة التلاوة والقراءة، وهذا الوعيد الذي ذكر وإن لم يكن هو المراد كله، فلا أقل من أن يكون مراداً بعضه، إذ الإعراض عن القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به تهاون كبير وتفريط شديد والعياذ بالله تعالى[3].

هذا، ومن العلماء من يرى أن المراد من النسيان الذي جاء التحذير منه والوعيد عليه في الأحاديث، إنما هو ترك العمل بالقرآن لا عدم الحفظ عن ظهر القلب بعد حصوله، ويتأيد هذا بأن الأجر الموعود به على قراءة القرآن ليس خاصاً بالقراءة من الحفظ، بل هو أعم فيشمل القراءة من المصحف أيضاً، حتى قال البعض: إن القراءة من المصحف أفضل كما سيأتي. وممن ذهب إلى هذا الفهم سفيان بن عيينة، فقد كان يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبه الذم ويضاف إليه الإثم هو الترك للعمل به، وأن النسيان في لسان العرب هو الترك، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾[4] أي تركوا، وقال: ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[5]، أي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم، وليس من حفظ القرآن أو شيئاً منه وتفلت منه بناسٍ إذا كان يحل حلاله ويحرم حرامه. قال القرطبي في التذكار: وهذا تأويل حسن جداً له وجه إلا أن الله تعال أثنى على من كان دأبه تلاوة القرآن، فقال: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[6]،

---

1 – الآية 30 من سورة الشورى.

2 – ابن كثير في فضائل القرآن من التفسير، جـ4، ص43.

3 – من تفسير ابن كثير بتصرف في فضائل القرآن، جـ4، ص43.

4 – الآية 165 من سورة الأعراف.

5 – الآية 67 من سورة التوبة.

6 – الآية 79 من سورة الإسراء.

وسمّى القرآن ذكراً وتوعد من أعرض عنه كما في الآيات السالفة، فهذا ظاهره تلاوة القرآن وكذلك ظاهر الأحاديث، والله أعلم.

رابعاً:- كيفية تلاوة القرآن

لتفق علماء القراءات وأئمة الأداء على أن لتلاوة القرآن الكريم كيفية مخصوصة ينبغي للقارئ ملاحظتها والالتزام بها في تلاوة القرآن ليحصل له الأجر الذي وعد الله به القارئين، فإذا أهملها أو قصر في مراعاتها كان من الآثمين. وهذه الكيفية يمكن تحقيقها إذا توافرت صفات خاصة في القارئ، واتبعت إرشادات معينة في التلاوة، وهي مفصلة في ما يلي:-

أ - الأداء الصحيح، وهو تجويد كلمات القرآن وإعطاء حروفه حقها من الإتقان، وهذا لا يكون إلا بإخراج كل حرف من مخرجه الأصلي المختص به حتى يتميز عما يقاربه أو يجانسه، مع الاعتناء التام بإبانة الحروف، وإظهار التشديدات والحركات وعمل الغُنَّة، وتفخيم ما يجب تفخيمه، وترقيق ما ينبغي ترقيقه، ومد ما يلزم مده، وقصر ما يجب قصره، وغير ذلك مما هو معروف في علم التحويد[1] م واليه أشار النبي ﷺ في الحديث بقوله: " من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبده" - يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه- وكان قد أعطي حظاً وافراً في تجويد القرآن. ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون أيضاً بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية[2]. ولعل هذه الصفة التي ذكروها هي المقصودة

---

[1] - العمدة في أحكام التلاوة وإجادتها إنما تكون بالأخذ من أفواه القراء والمشايخ والاسترشاد بهم مشافهة، ولا يكتفي فيها تعلم قواعد التجويد وحدها، لذا أعرضت عن ذكرها.

[2] - من الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ1، ص100.

بالترتيل الذي أمر به الله وأكده بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1] أمر بالترتيل بفعل الأمر ثم أكده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً لشأنه وجاء في تفسير هذه الآية عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: "الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وفي البرهان وحق على كل امرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتله، وكمال الترتيل هو تفخيم ألفاظ القرآن والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه بالتدبر... وأن يسكت بين النَفس والنفَس وألا يدغم حرفاً في حرف، لأن أقل ما في ذلك أن يسقط من حسناته بعضها"[2]. وقال السيوطي: "وتسن القراءة بالتدبر والتفهم إذ هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[3]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[4]، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك"[5]. وقد كانت قراءته ﷺ كاملة الترتيل والتؤدة وغاية في الإتقان والجودة ولم تكن هذّاً ولا عجلة، بل كانت مفسرة كلمه كلمة، مبينة حرفاً حرفاً. ففي صحيح البخاري: سئل أنس رضي الله عنه عن قراءه النبي ﷺ فقال: كانت قراءته مدّاً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله وبمد الرحمن وبمد الرحيم[6]. قال ابن كثير في شرح هذا الحديث: وفي الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة[7]. وفي تفسير القرطبي: الترتيل

---

1 - الآية 4 من سورة المزمل.

2 - للبرهان، ج1، ص450.

3 -الآية 29 من سورة ص.

4 - الآية 82 من سورة النساء.

5 - الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص16.

6 - الصحيح، جـ6، ص441.

7 - الهذرمة: السرعة في القراءة.

في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن[1]. ويروى عن الغزالي أن الترتيل مطلوب لا لمجرد التدبر فإن الأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة الترتيل والتؤدة لأنه أقرب إلى توقير القرآن واحترامه، وأشد تأثيراً في القلوب من السرعة والاستعجال.

ب- الوقف والابتدا: وهو من أهم ما ينبغي لقارئ القرآن مراعاته والحرص عليه في قراءته، لذا قال العلماء: إن باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل[2]. وقالوا: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء[3]. وهو عند أئمة القراءات على أقسام أربعة، وهي التام والكافي والحسن والقبيح، وأكتفي[4] بتعريف التام والقبيح والتمثيل لهما نظراً لما لهما من الأهمية، فأقول:-

1- التام، وهو الذي يقع عند تمام المعنى بحيث لا يكون للكلام تعلق بما بعده فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، وأكثر وجود هذا النوع عند رؤوس الآي، وله أمثلة كثيرة كالوقف على قوله: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6]، وقد يوجد في وسط الآية كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي﴾[7] هنا الوقف التام ثم الابتداء بقوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ لأن الأول كلام الظالم

---

[1] - التفسير، جـ1، ص17.

[2] - اللآلئ الحسان، ص146.

[3] - من كلام ابن الأنباري، نقله صاحب اللآلئ، ص146.

[4] - إنما تركت الكلام عن الكافي والحسن لأنه لا حرج على من يخالفهما.

[5] - الآية 4 من سورة البقرة.

[6] - الآية 5 من سورة البقرة.

[7] - الآية 29 من سورة الفرقان.

المحكي والابتداء بعده كلام الله تعالى، وهذا النوع من الوقف هو الوارد عن النبي صلى في حديث أم سلمة[1] رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته فيقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف، مالك يوم الدين.. وهكذا". ويرشد إليه الحديث المتقدم المروي عن أنس رضي الله تعالى عنه الذي وصف فيه قراءة النبي ﷺ بأنها كانت مدًّا، فقد قال الزهري في شرحه: إن قراءة النبي ﷺ كانت آية آية بمعنى أنه كان يقف عند رأس الآية؛ ولذا قال بعض العلماء هو الأفضل مطلقاً وقيده بعض آخرون بما إذا لم يكن للآية تعلق بما بعدها، وفي هذه الحال يكون الوقف عد تمام المعنى ولو في أثناء الآية، والأول رجحه البيهقي في شعب الإيمان وذكر أن الوقف على رؤوس الآي أفضل ولو تعلقت الآية بما بعدها لأن فيه اتباعاً لسنة النبي ﷺ[2].

2- النوع الثاني القبيح، وهو الذي ينبغي اجتنابه لما يلزم عليه من المحذور كعدم فهم المقصود من الكلام أو إيهام الكفر أو فساد المعنى، ففي الأول الوقف مكروه وفي الأخيرين ممنوع ومحرم:

مثال الأول، الوقف على بسم الله من بسم الله الرحمن الرحيم.

ومثال الثاني، الوقف على قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ والابتداء بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[3].

ومثله الوقف على النفي قبل الاستثناء كقوله تعالى: ﴿لا إله﴾ من قوله: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[4].

---

[1] - رواه الترمذي وأبو داود، وقول أم سلمه كان يقطع قراءته يدخل فيه جميع ما كان يقرآه من القرآن وإنما ذكرت الفاتحة كمثل فقط لتبين صفة التقطيع، فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، لأن التقطيع عام لجميع القرآن هــ. قاله القرطي في مقدمة تفسيره.

[2] - انظر مع القرآن للشيخ الحصري، ص30.

[3] -الآية 17 من سورة المائدة.

[4] - الآية 19 من سورة محمد ﷺ

وكالوقف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

ومثال الثالث، وهو ما يلزم عليه فساد المعنى، الوقف على قوله: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾[2]، فإن اضطر قارئ؟ إلى الوقف على القبيح لانقطاع نفسه رجع لما قبله ووصله بما بعده حتى لا يقع في المحذور.

ج- تحسين الصوت في تلاوة القرآن: ومن كمال التلاوة وإتقان القراءة تحسين الصوت بها ما استطاع القارئ إلى ذلك سبيلاً، وهو المعبر عنه أحياناً عند البعض بالتغني بالقرآن. وقد أفاض فيه العلماء كثيراً، فمنهم من كرهه ومنهم من أجازه واستحسنه، ولا أريد أن أطيل فيه وأكتفي بذكر خلاصة بحث أنقلها عن الشيخ محمود خليل الحصري، وهي كما يلي: قال رحمه الله وأجزل له الثواب: والذي نستطيع استنتاجه من الأحاديث والآثار وأقاويل العلماء يتلخص في ما يلي:

أولاً:- تحسين الصوت والتطريب به حال القراءة مستحب ومطلوب شرعاً، والقارئ الذي لا يكون حسن الصوت بطبعه ينبغي أن يجتهد في تحسينه في حدود استطاعته، وينبغي ألا يكون هذا موضع نزاع بين العلماء، لأن الأحاديث الكثيرة والآثار الشهيرة المستفيضة قد دلت على هذا دلالة واضحة لا إبهام فيها ولا غموض.

ثانياً:- القراءة بالألحان مختلف فيها، فمن العلماء من ذهب إلى حرمتها، ومنهم من ذهب إلى كراهتها، ومنهم من ذهب إلى جوازها واستحبابها بالشرط الآتي ذكره.

---

[1] - الآية 105 من سورة محمد ﷺ.

[2] -- الآية 11 من سورة النساء.

ثالثاً:- محل اختلافهم في القراءة بالألحان إذا كانت في دائرة القواعد المحددة، والأحكام المقررة التي وضعها علماء التجويد واستنبطوها من القراءات التي وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبي ﷺ بحيث لا تخرج عنها قيد شعرة، أما إذا خرجت القراءة بالألحان عن حدود هذه القواعد والأحكام وترتب على القراءة بها الإخلال بهذه القواعد، والعبث بها والانحراف عنها، فقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم القراءة بها.

والذي أراه أنه يجوز للقارئ أن يقرأ بأية نغمة من النغمات الموسيقية الحجاز والنهاوند إلى غير ذلك من النغمات، بشرط أن يحافظ كل المحافظة على قواعد التجويد ولا ينحرف عنها يمنة ولا يسرة، بحيث يجعل هذه القواعد في المحل الأول ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى، حتى إذا تعارض عنده - في بعض الأحيان- ضبط الكلمات القرآنية من ناحية التجويد وضبطها من ناحية الموسيقى بحيث يتعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معاً، فإنه يؤثر ضبطها تجويداً ولو ترتب على ذلك الإخلال بقواعد الموسيقى. أما إذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدي إلى الإخلال بأصول التلاوة وأحكام الأداء، فإن القراءة بهما حينئذ تكون محرمة بإجماع المسلمين، يأثم القارئ بقراءتها ويأثم المستمع بسماعها. والله الموفق[1].

خامساً:- آداب القارئ والمستمع

من المعلوم أن قراءة القرآن وتلاوته عبادة مطلوبة من المسلمين ويؤجر عليها كل من القارئ والمستمع بشرط أن يلتزم كل منهما بآداب وتوجيهات خاصة استنبطها

[1] - مع القرآن الكريم الشيخ محمود الحصري، ص62.

العلماء من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونصوا عليها في مؤلفاتهم[1] وفي ما يلي بيان مجمل لأهمها في حق كل من القارئ والمستمع:-

أولاً:- آداب القارئ

وهي كثيرة ومتنوعة أوصلها بعضهم إلى ما يربو على السبعين وهي من حيث الحكم قد تكون واجبة أو مسنونة أو مستحبة، ومنها ما يكون مطلوباً في جميع الأوقات، ومنها ما يكون خاصاً بحال التلاوة فقط، وهي الآتية:-

1. الإكثار من قراءة القرآن مع الإخلاص لله تعالى وابتغاء شكره على نعمته وحمده على توفيقه لتلاوة كلامه، وينبغي أن يكون خائفاً من ذنبه راجياً عفو ربه ويجعل خوفه غالباً في حال الصحة، ويغلّب الرجاء عند المرض وترقب حضور الأجل ويحسن ظنه بالله تعالى مقدماً ما يقدر عليه من عرض الدنيا، مراقباً لله تعالى في سره وعلانيته، وأن يبتعد عن الانغماس في الشبهات متحلياً بالحلم والوقار والرفق والأدب والتواضع للفقراء والمساكين. روي عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وقال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن[2].

---

[1] - من هؤلاء النووي في الأذكار والتبيان ورياض الصالحين، والترمذي في نوادر الأصول والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

[2] - انظر تفسير القرطبي، جـ1، ص20-21.

2. أن يجلس للقراءة نظيف الثياب متطهراً من الحدثين من الأكبر وجوباً ومن الأصغر استحباباً، فالجنب والحائض لا يجوز لهما القراءة من المصحف إجماعاً، ويكون مُستقبِلَ القِبلة في مكان طاهر مختار للقراءة. لذا استحب بعض العلماء أن تكون القراءة في المسجد لتجتمع له الطهارة مع شرف البقعة، ويحصل له ثواب الاعتكاف إن نواه[1].

3. أن يستهل قراءته بالاستعاذة لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2] سواء بدأ في أول سورة أو لا ولفظها المشهور أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وقال بعض العلماء بالوجوب لظاهر الأمر والصحيح الندب في كل قراءة، ويأتي بعد الاستعاذة ببسم الله الرحمن الرحيم إذا كانت بدايته في أول سورة إلا التوبة بإجماع القراء. وقال البعض باستحباب البسملة حتى في بدايته من غير أول السورة وقيل هو: مخير في البداية بالبسملة أو عدمها ما لم يخش من تركها محذوراً كعود الضمير على الشيطان المذكور في الاستعاذة كالبداية بنحو قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾[4] فتتأكد البداية بها حينئذ، وإلا فلا.

4. أن يقرأ بتؤدة وتمهيل وترتيل في خشوع وتدبر مستحضراً عظمة الله وخشيته وأنه بين يدي ربه يناجيه بكلامه ويتقرب إليه بتلاوة خطابه. وعليه أن يمعن الفكر في معنى ما يلفظ ويعرف ما ترمي إليه الآيات، ويتأمل الأوامر والنواهي ثم يعرض عمله

---

1 - لأنه عبادة، والعبادة من شرطها النية، وأقله يوم وليلة عند المالكية، ولا حدّ له عند الشافعية والحنفية وأكثر الفقهاء، قاله ابن رشد في بداية المجتهد، جـ1، ص314.

2 - الآية 89 من سورة النحل.

3 - الآية 47 من سورة فصلت.

4 - الآية 141 من سورة الأنعام.

عليها، فإذ كان مقصراً استغفر وأناب، وإن كان عاملاً حمد الله وشكره فسأله إدامة نعمة توفيقه لتلاوة كلامه.

5. القراءة في المصحف أوْلى من القراءة من الحفظ عن ظهر قلب، إذ النظر في المصحف عبادة مطلوبة أيضاً، وعليه أن يتناول المصحف في أدب واحترام وبيد طاهرة نظيفة، وعند الانتهاء من القراءة يضع المصحف في مكان مرتفع نظيف أو في حجره تعظيماً له ولا يتوسده أو يعتمد عليه عند القيام، وهناك من يقول: إن القراءة من الحفظ أوْلى[1]. وقال القرطبي: فائدة القراءة من الحفظ قوة الحفظ وثبات الذكر وهي أمكن للتفكير فيه، وفائدة القراءة في المصحف التثبت حتى لا يخلط بزيادة حرف ولا إسقاط حرف أو تقديم آية أو تأخيرها[2].

6. أفضل الأوقات لقراءة القرآن في الصلاة في موضعها وهو القيام بعد الفاتحة، والليل كله تستحب فيه القراءة وأفضله النصف الأخير منه، ثم ما بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الصبح من النهار، ثم من الأيام يوما الجمعة والخميس، ومن الشهور رمضان والعشر الأواخر منه أفضل، وكذلك الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة الحرام.

7. يتوقف القارئ عن القراءة إذا سلم عليه إنسان، فإنه يقطع قراءته ويرد السلام باللفظ لا بالإشارة، وكذلك يشمت العاطس إذا سمعه يحمد الله ولا يوجد أحد في المجلس غيره ويحمد الله إذا عطس، وأيضاً إذا سمع الأذان يقطع ويتابعه، وإذا تثاءب أو خرجت منه ريح، فإنه يمسك عن القراءة حتى يتم وفي هذه الأحوال كلها يرجع للقراءة بتعوذ جديد.

---

1 - وهو الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه قائلا: إن النظر في المصحف يخلّ بالتدبر الذي هو المقصود والأهم من التلاوة.

2 - انظر، مع القران الكريم، للشيخ محمود خليل الحصري، ص69.

8. يسنّ للقارئ سجود التلاوة إذا وصل لموضع من مواضع السجود المعروفة في القرآن بدون إحرام ولا سلام، بل بالتكبير في الخفض والرفع، إذا توافرت له شروط الصلاة من طهارة حدث وخبث وغير ذلك، ثم يتابع قراءته بلا تعوذ جديد[1].

9. ويستحب تحسين الصوت بالقراءة والجهر بها بشرط ألا يؤذي قارئاً آخر أو يشوش عليه أو على مصلٍّ قريب منه، والأفضل أن تكون القراءة على ترتيب المصحف لكونه توقيفياً، جعل هكذا لحكمة فلا ينبغي مخالفته إلا فيما استثنى وجاء به النص عن النبي ﷺ كقراءته ﷺ في صلاة صبح يوم الجمعة سورة السجدة وسورة الإنسان، وفي العيد بسورة ق وسورة القمر.

10. يستحب للقارئ إذا انتهى من قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسوله سيدنا ومولانا محمد ﷺ قائلاً: صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط[2]، قاله القرطبي في تفسيره: وعن زين العابدين بن الحسين رضي الله تعالى عنهما[3] أنه كان يقول عند الختم: صدق الله العظيم وبلغ رسوله الوفي الكريم ونحن على ما قال ربنا وسيدنا ومولانا وخالقنا ورازقنا .. من الشاهدين، له من الذاكرين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى جميع الملائكة والمرسلين والنبيين، إن ربنا حميد

---

1 - بقي من سنن تلاوة القرآن المأثورة عن النبي ﷺ وصحابته التكبير بعد نهاية بعض السور، فيقول القارئ (الله أكبر بعد نهاية سورة الضحى وقبل البسملة، وكذلك في بقية السور حتى يختم. انظر المهذب في القراءات العشر، جـ2، ص347.

2 - تفسير القرطبي، جـ1، ص28.

3 - اسمه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في شعبان سنة 27هـ، ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته، توفي سنة 92هـ، ودفن بالبقيع رضي الله تعالى عنه وعنا به، آمين.

مجيد[1]. هذا ويستحب للقارئ كلما ختم ختمة من القرآن أن يستأنف ختمة أخرى ويقرأ منها الفاتحة وخمس آيات من البقرة ء كما روي في الحديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

ثانياً:- فضل استماع القرآن وآداب المستمع

ورد في الكتاب والسنّة الحث على استماع القرآن والوعد عليه بحسن المثوبة وعظيم الجزاء، كما ورد على تلاوته واستذكاره، كما تقدم. قال الإمام الليث بن سعد: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]. ففي الآية أمر من المولى عز وجل بوجوب استماع القرآن ووجوب الإنصات له، لأن الإيمان يقتضي من المؤمن أن يصغي لكلام الله تعالى حين يتلى، والإنصات إليه حين يسمع، ليكون له الأثر الطيب في القلوب فيقودها إلى طاعة الله ويبعدها عن المعاصي.

وقد جعل الله تعالى تأثير القرآن في القلوب من صفات المؤمن الكامل، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]، ومعنى وجلت خافت واضطربت وحملها هذا الخوف على العمل بما يطمئنها ويؤمنها. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ . قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال نعم إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن

[1] - من كتاب، مع القرآن الكريم، للشيخ المرحوم محمود خليل الحصري، ص75.
[2] - الآية 204 من سورة الأعراف.
[3] - الآية 2 من سورة الأنفال.

كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَــؤُلاء شَهِيدًا﴾[1]، قال: حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان، معناه تسيل دموعهما، وهو بفتح التاء وسكان الذال المعجمة وكسر الراء.

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث فوائد منها استحباب استماع القراءة والإصغاء إليها والبكاء عندها وتدبرها واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم. 1 هـ[2].

ومنه أيضا يعلم أن استحباب السماع ليس خاصاً بمن لا يجيد القراءة، بل هو عام بل قد يكون بالنسبة للحافظ أوْلى وأنفع وهو ما يرشد إليه الحديث ويدل عليه.

آداب مستمع القران الكريم:-

وبعد أن علمنا أن لمستمع القرآن مترلة وفضلاً، ينبغي أن نعرف الآن أن عليه آداباً يحسن منه الالتزام بها ورعايتها حتى ينال أجره كاملاً، وفي ما يلي بيان لأهمها:-

1- الإصغاء الكامل والإنصات التام ليتحصل على الرحمة الموعودة من الله تعالى في قوله، عز من قائل: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

والاستماع لا يكون كاملاً وتاماً إلا إذا أقبل المستمع بكل جوارحه ووجّه سائر مشاعره نحو القارئ منصرفاً عما يشغله عنه من لهو وعبث وكلام وشرب دخان، وغير ذلك من كل ما يخل بتوقير كلام الله واحترامه، وذلك لأن مجلس القرآن مجلس طاعة وعبادة تترل فيه الرحمات وتغشاه الملائكة، ولا فرق في هذا بين أن يكون القارئ ماثلاً أمام المستمع أو عن طريق الإذاعة أو التسجيل، كما قال الشيخ محمود

---

[1] - الآية 41 من سورة النساء.

[2] - من كتاب الشيخ محمود خليل الحصري، مع القرآن الكريم، ص 25، والحديث رواه البخاري في صحيحه، جـ6، ص243.

[3] - الآية 204 من سورة الأعراف.

خليل الحصري[1]، فكل من المجلسين مجلس واحد يتلى فيه كتاب الله ويتعبد فيه بسماع القرآن الكريم.

2- التأمل والتدبر في معاني ما يسمعه من الآيات وتفهم الأوامر والنواهي والزواجر، فيزداد إيمانه وتصفو نفسه ويكمل يقينه، وينقاد للأوامر وينفذها، ويجتنب المنهيات ويبتعد عنها، ويكون حقيقاً بوصفه بالإيمان الكامل الذي نوهت به آية الأنفال المتقدمة.

3- إذا طرق سمعه وعد بالرحمة والمغفرة سأل واستبشر ودعا ربه أن يشمله بهما، وإذا سمع آية عذاب أشفق وتعوذ، أو آية استغفار استغفر وأناب، أو آية فيها ذكر للمصطفى صلى هو عليه وسلم، وتتأكد الصلاة عليه عند سماع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2]، وإذا سمع قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3]، قال: ولا بشيء من نعمك نكذب ربنا ولك الحمد، أو سمع قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، قال: آمنت بالله، وإذا سمع قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[5]، قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، وإذا سمع قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾[6]، قال بلى هو القادر، وإذا سمع آية فيها سجدة وسجد القارئ الذي يصلح للإمامة وكان المستمع متوضياً سجد معه كما تقدم في آداب القارئ.

---

[1]- في كتابه، مع القرآن الكريم، ص71.

[2]- الآية 56 من سورة الأحزاب.

[3]- الآية 3 من سورة الرحمن.

[4]- الآية 50 سورة المرسلات.

[5]- الآية 8 من سورة التين.

[6]- الآية 40 من سورة القيامة.

4- يستحب للسامع البكاء، كما يستحب من القارئ، أو التباكي لمن لم يبك فعلاً منهما مظهراً الخشوع والخوف لقوله ﷺ : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله. وقوله: إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله[1]. وقد مدح الله تعالى الخاشعين والبكائين عند سماع القرآن فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[2]، ويقول: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[3]، وأصحاب خشية الله هم العلماء، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[4] وقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾[5].

وقصارى القول: إننا نهيب بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يلتزموا حدود الدين والأدب في سماع القرآن الكريم، وأن يراعوا ما لمجلسه من قداسة وحرمة، وأن يقتفوا آثار سلفهم الصالحين في تلاوة القرآن الكريم، وأن يراعوا ما لمجلسه من قداسة وحرمة، وأن يقتفوا آثار سلفهم الصالحين في تلاوة القرآن أو سماعه فتعلوهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتتم لهم النعمة وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والصدر الأول من التابعين وأتباعهم مثلاً علياً يحتذى بهم في سماع القرآن ورعاية حرمة مجلسه بجلال الصمت وجمال السمت وكمال الخشوع والتأثر والوجل والتدبر[6].

---

1 – رواهما ابن ماجــه ومنها قوله ﷺ : "إقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا".

2 – الآيات من 107–109 من سورة الإسراء.

3 – الآية 58 من سورة مريم

4 – الآية 28 من سورة فاطر.

5 – الآية 83 من سورة المائدة.

6 – من كتاب مع القرآن الكريم، للشيخ الحصري، ص74.

وفي الختام، أرجو من الله تعالى مخلصاً أن يجعلنا جميعاً ممن يرعاه حق رعايته ويتدبره حق تدبره ويقوم بحقه ويوفي بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، ويهدينا بهداه، ويوفقنا للعمل بأحكامه القاطعة ويجمع لنا به خيري الدنيا والآخرة، وله الحمد على ما أولانا من نعمه الظاهرة والباطنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، آمين، والله أعلم.

الأسئلة

س1) اكتب ما تعرفه من آداب تلاوة القرآن بجملة، مبيناً حكم حفظه عن ظهر قلب بالتجويد والأداء السليم مستدلاً على ما تذكر بما يحضرك من الحديث؟

س2) ما حكم تعليم القرآن لأولاد المسلمين مبيناً متى يكون فرض عين، وهل يجوز أخذ الأجرة عليه مستدلاً بأقوال بعض الأئمة والعلماء؟

س3) بين ما ينبغي لحفاظ القرآن من تعهده بالتلاوة والتكرار مستدلاً على ذلك بما يحضرك من الأحاديث؟ ومبيناً المقدار المطلوب قراءته من المسلم في اليوم والليلة؟

س4) ما حكم نسيان القرآن بعد حفظه مستدلاً على ما تذكر؟ ومبيناً الكيفية التي ينبغي أن يقرأ بها القرآن ليحصل النفع والأجر الكثير؟

س5) اذكر أهمية معرفة الوقف والابتداء بالنسبة لقارئ القرآن مبيناً أنواعه مع التمثيل لها. وحكم تحسين الصوت بقراءة القرآن؟ وحكم قراءته بالألحان؟

س6) ذكر العلماء آداباً كثيرة تطلب من القارئ والمستمع للقرآن تقرب من عشرة اذكر ما تستحضره من آداب القارئ والمستمع وفضل استماع القرآن مبيناً الحكم الشرعي والدليل لكل ما تذكر ما أمكن ذلك؟

المبحث الثامن

ترجمة القرآن إلى غير العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية المبحث:-

ترجع أهمية هذا المبحث إلى الأمرين الآتيين:-

أولهما: دقته وغموضه وإعراض المسلمين في الصدر الأول عن ترجمة القرآن، الأمر الذي جعل الكثير من العلماء يتخوفون من الخوض في ترجمة القرآن ويمتنعون عنها صيانة له من التحريف والتبديل. غير أن هناك فريقاً آخر ينادي بالترجمة ويرى أنها ضرورية لتبليغ دعوة الإسلام إلى جميع أمم العالم الذين يتكلمون العديد من اللغات غير العربية، علماً بأن القرآن منزّل إلى جميع الناس.

ثانيهما: أن كثيراً من الناس - أغلبهم من المستشرقين- قاموا بترجمة القرآن إلى لغات أخرى كثيرة بلغت في إحدى الإحصائيات إلى 120 ترجمة، وطبعت مرات متعددة[1].

ولعل الكثير من هؤلاء المترجمين يحمل الحقد على الإسلام والمسلمين ليشككهم في دينهم ويفسد عليهم عقائدهم من خلال هذه التراجم المشتملة على أغلاط كثيرة وفاحشة تسيء إلى كتاب الله العزيز وتجعله عرضة للانتقاد والحملات المغرضة، وتحول بينه وبين بلوغ دعوته النقية الصافية إلى الناس كافة كما أنزلها الله.

ونظراً لهذه الأهمية، وعلاجاً لمشكلة المسلمين من غير العرب الذين لا يعرفون العربية، يجب أن تكون هناك ترجمات للقرآن تتصف بالدقة والصحة تتم تحت إشراف هيئات إسلامية من جهات الاختصاص يقوم بها علماء متخصصون حاذقون مأمونون علماً وديناً، وسيكون كلامي في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى- على النحو التالي:

أ - معنى الترجمة لغة، وبيان أنواعها.

---

1 - وكانت الترجمات المشار إليها إلى خمس وثلاثين لغة وطبع أغلبها، وكان أكثرها طباعة الترجمة الإنجليزية ثم الفرنسية فالألمانية فالإيطالية، وتكرر طبع الإنجليزية أربعاً وثلاثين مرة. انظر مناهل العرفان، جـ2، ص 107.

ب- ترجمة القرآن بين المجيزين والمانعين وبيان حقيقة الخلاف بينهما.

جـ- الترجمة الحرفية للقرآن غير ممكنة وغير جائزة، والمعنوية ممكنة وجائزة.

د – الترجمة المعنوية قد تكون واجبة إذا تعينت طريقاً للتبليغ.

هـ- شروط الترجمة وأمثل الطرق لترجمة القرآن وفوائدها.

وفي الصفحات التالية تفصيل هذه النقاط:-

أ – معنى الترجمة لغة، وبيان أنواعها.

تطلق الترجمة في اللغة، ويراد منها غالباً[1]، أحد المعنيين التاليين:-

أولهما: نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المترجم، جاء في القاموس المحيط وشرحه: الترجمان[2]: المفسر للكلام وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر. قال الجوهري: وقيل نقله من لغة إلى لغة أخرى هـ[3]. فالمترجم على هذا قد وضع لفظاً من لغة مكان لفظ من لغة أخرى مع الموافقة في النظم والترتيب كوضع رديف مكان رديف له من لغة واحدة، مثل القمح والبر.

ثانيهما: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة نظم الأصل وترتيبه مع ارتباطه به لأنه تفسير له، ولا يشترط فيه الاستيفاء لكل معاني الأصل، ويقرب من هذا المعنى ما جاء في اللسان: "والترجمان المفسر للّسان.. وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى[4].

---

1 – وفي غير الغالب تطلق الترجمة على معانٍ أخرى، منها تبليغ الكلام لمن لم يبلغه كقول الشاعر: "إن الثمانين وبلغتها، قد أحوجت سمعي إلى ترجمان". ومنها تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل عن ابن عباس أنه ترجمان القرآن أي مفسره، ومنها إطلاقها على بيان تاريخ حياة الشخص، فيقال ترجم لفلان، ومنها أيضا ترجمة الباب بمعنى العنوان له، انظر المناهل، جـ2، ص109-110].

2 – الترجمان بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما كما يفهم من القاموس المحيط.

3 – القاموس المحيط جـ4، ص84، ومذكرات الذهبي، ص7.

4 – جـ14، ص332.

أنواع الترجمة:-

من المعنيين السابقين يعلم أن الترجمة نوعان: النوع الأول، الترجمة الحرفية وهي المقصودة بالمعنى الأول، والنوع الثاني، الترجمة المعنوية أو التفسيرية، وهي المعنية من المعنى الثاني. ويمكن التفريق بينهما بأن الأولى يراعى فيها موافقة الترجمة للأصل المترجم في النظم والترتيب واستيفاء جميع معاني الأصل من غير شرح ولا بيان بخلاف الثانية، فإنما تكون بفهم الأصل وشرحه ثم بيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل ولا ترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه. والحاصل أن عبارة الترجمة الحرفية محاذية ومطابقة لعبارة الأصل ولا اختلاف بينهما إلا باللفظ واللغة.

وأما عبارة الترجمة المعنوية، فهي محاذية ومطابقة لعبارة تفسير الأصل، ومن هنا فقد اتضح أن الترجمة الحرفية تقوم مقام الأصل وتسد مسده لأنها مطابقة له تمام المطابقة، وأن المعنوية لا تقوم مقام الأصل. ولا تسد مسده لأنها لا تطابقه وإنما تطابق المعنى الذي فهمه المترجم وفسر به عبارة الأصل، وقد لخص الدكتور موسى شاهين الفرق بينهما في ما يلي:-

1. أن الترجمة الحرفية صيغتها استقلالية يراعى فيها الاستغناء عن الأصل وحلولها محله، بخلاف المعنوية فإنها مرتبطة بالأصل لأنها تفسير له.
2. أن الحرفية لا يجوز فيها الاستطراد، إذ المفروض فيها أن تكون صورة مطابقة له بخلاف المعنوية، فإنها بيان للأصل وتوضيح له فيجوز فيها الاستطراد كما يجوز في التفسير.
3. أن الحرفية تكون وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده بخلاف المعنوية، فلا يلزم فيها الاستيفاء.

لضاعت خواص القرآن البلاغية[1] ولنزل من مرتبة المعجزة إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر، ولفات هذا المقصد العظيم الذي نزل القرآن من أجله.

وأما الغرض الثاني، وهو كونه هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، يكون باستنباط الأحكام والإرشادات الإلهية منه، وهذا يرجع بعضه إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفهمها وأدائها كل الناس وتقوى عليها جميع اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته وفهم الأحكام منه، والبعض الآخر من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية ويوجد هذا كثيراً في استنباطات الأئمة المجتهدين[2]. وهذه المعاني الثانوية لازمة للقرآن وبدونها لا يكون قرآناً، والترجمة الحرفية إذا أمكن فيها المحافظة على المعاني الأولية الأصلية فغير ممكن أن يحافظ فيها على المعاني الثانوية ضرورة إنها لازمة للغة القرآن دون غيرها من سائر اللغات.

---

1 - مثلا، لو أراد إنسان أن يترجم قوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الآية 29 من سورة الإسراء، ترجمة حرفية لأتى الكلام دالاً على النهي عن ربط اليد في العنق وعن مدها غاية المد، وهذا في اللغة المترجم إليها ربما لا يؤدي المعنى الذي قصد في القرآن بل قد يستنكر صاحب هذه اللغة هذا الوضع الذي ينهى عنه القرآن ويقول في نفسه: إنه لا يوجد عاقل يفعل بنفسه هذا الفعل الذي نهى عنه القرآن لأنه مثير للضحك على فاعله والسخرية منه، ولا يدري صاحب هذه اللغة ما قصده القرآن بهذا التشبيه البليغ، أما في الترجمة المعنوية لهذه الجملة فإنها تأتي ناهية عن التبذير والتقتير مصورين بصورة شنيعة ينفر منها الإنسان حسب أسلوب تلك اللغة المترجم إليها، ومن هنا يتبين أن الغرض القرآني يكون مفهوما بكل وضوح في المعنوية دون الحرفية.

2 - من استنباطاتهم دلالة قوله تعالى في الآية 233 من سورة البقرة: ﴿ وَعلى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على أن المولود ينسب إلى أبيه ولا ينسب إلى أمه، فهذا معنى ثانوي استفيد من اللام في قوله له، أما المعنى الأصلي للآية فهو وجوب الإنفاق على الوالدات ومثله استنباطهم من قوله تعالى: ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾. الآية 187 من سورة البقرة، جواز الإصباح بالجنابة. ومن قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾. إلى قوله: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ أن الولد لا يملك وذلك لأنه تعالى نفى عن الملائكة الولدية وأثبت أنهم عباد مكرمون وهذه كلها معان ثانوية للآيات لا يمكن استفادتها من الترجمة الحرفية، هـ. من مذكرات الذهبي، ص7.

من هنا نعلم أن الترجمة الحرفية لا يمكن بحال أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يقصد به، لما يترتب عليه من ضياع الغرض الأول كله، وفوات شطر من الغرض الثاني، إذا فهي مستحيلة وغير ممكنة بحال.

وبعد أن عرفنا أن الترجمة الحرفية غير ممكنة عقلاً على الوجه المتقدم، وأيضاً هي غير جائزة شرعاً، فلا يحل لمسلم أن يقدم عليها لما يترتب عليها من المفاسد، مثل:-

1. إيهام أنها حلّت محل القرآن في جميع خصائصه فيترك التعبد بتلاوته ويحصل الإعراض عن التدبر في معانيه ووجوه دلالته اكتفاءً بالترجمة، وفي هذا من الخطر الديني ما يجب سد بابه.
2. فتح باب الاختلاف بين المسلمين، لأن كل من له ترجمة حرفية خاصة يدعي أن ترجمته أوفى بالغرض المقصود من القرآن من ترجمة غيره.
3. التهاون والإخلال في حفظ القرآن في نظمه وأسلوبه العربي وتعريضه للتغيير والتبديل، وهذا ما لا يجوز أن يقدم عليه المسلمون.

إمكان الترجمة المعنوية وجوازها بل وجوبها أحياناً:-

ذلك لأنها - كما تقدم- عبارة عن شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى دون محافظة على نظم الأصل وترتيبه ولا يشترط فيها استيفاء جميع المعاني الأصلية المرادة منه. فالمترجم ترجمة معنوية يفهم المعنى المراد بقدر ما يتيسر له ثم يعبر عنه بلغة أخرى على قدر ما تتسع له اللغة المترجم إليها، وعلى هذا فترجمة القرآن ترجمة معنوية لا تعدو أن تكون تفسيراً له بلغة غير لغته التي نزل بها.

وحيث اتفقت كلمة المسلمين، وانعقد إجماعهم على جواز تفسير القرآن لمن كان من أهل التفسير بما يدخل تحت طاقة البشر بدون إحاطة بجميع مراد الله تعالى، فلا ينبغي

أن يبقى عندنا أدنى شك في دخول الترجمة التفسيرية تحت هذا الإجماع أيضاً، لأن عبارتها محاذية لعبارة التفسير لا لعبارة الأصل القرآني: فإذا كان التفسير مشتملاً على معنى الأصل وشرحه بحل ألفاظه فيما يحتاج فهمه إلى حل، وبيان مراده فيما يحتاج إلى بيان، وتفصيل معناه فيما يحتاج إلى تفصيل، وتوجيه مسائله فيما يحتاج إلى توجيه، وتقرير دلائله فيما يحتاج إلى تقرير، ونحو ذلك من كل ما له تعلق بتفهم القرآن وتدبره، كانت الترجمة المعنوية أيضاً مشتملة على هذا كله لأنها ترجمة للتفسير لا للقرآن.

والخلاصة، أن في كل من الترجمة المعنوية والتفسير بياناً لناحية أو أكثر من نواحي القرآن التي لا يحيط بها إلا من أنزله بلسان عربي مبين، وليس في واحد منهما إبدال لفظ مكان لفظ القرآن، ولا إحلال نظم محل نظمه، بل لفظ القرآن ونظمه باقيان على حالهما صورة ومعنى من غير خلل ولا نقصان. وبعد أن علمنا أن ترجمة القرآن ترجمة معنوية جائزة ، فينبغي أن نعلم أن كل ترجمة زعم أصحابها أنها ترجمة حرفية للقرآن كلها ترجمات باطلة لا تقوم مقام القرآن ولا تعبر عنه تعبيراً صادقاً، ولا يجوز لمسلم أن يطمئن إليها أو يعتمد عليها في استخلاص عقيدة أو استنباط حكم[1].

رابعاً:- وجوب الترجمة المعنوية إذا تعينت طريقاً لتبليغ الدعوة

وبعد أن علمنا أن الترجمة المعنوية جائزة كان حقاً علينا أن نعرف أنها لا تقف عند الجواز بل تتعداه أحياناً إلى الوجوب، فإذا كان لا سبيل إلى تبليغ دعوة القرآن لمن لا يعرف اللسان العربي إلا عن طريق الترجمة المعنوية، كان من الواجب على المسلمين وجوباً

1 - من مذكرات الدكتور محمد حسين الذهبي في علوم القرآن، ص4 - 5.

كفائياً[1] أن يقوموا بهذه الترجمة، وأن يجعلوها في متناول كل إنسان بلغته التي يتخاطب بها حتى تبرأ ذمتهم من واجب الدعوة إلى الله وإلى كتابه.

ومن زعم أن ترجمة القرآن على هذا النحو قد تؤدي إلى بلبلة وتشكك في القرآن ضرورة اختلاف الترجمات وعدم اتفاقها، فذلك زعم غير مقبول لأننا لم نقل: إن الترجمة المعنوية حلت محل القرآن وأخذت كل خصائصه ومميزاته، وإنما قلنا: إنما ترجمة للتفسير الذي يخضع لأصول التفسير وقواعده، والاختلاف في التفسير لا يعيب القرآن لأنه اختلاف في أفهام البشر، وليس اختلافاً في كلام الله عز وجل. ومن زعم أن ترجمة القرآن التي جوزناها تعوق غير العرب عن تعلم اللغة العربية التي هي المدخل لتفهم الإسلام من مصادره الأصلية، فذلك زعم لا يلتفت إليه لأن تعلم العربية لمن لا يعرفونها - وإن كان أمراً ينبغي أن يحرص عليه المسلم- ليس فرضاً، أما الإعلام بالدعوة الإسلامية وما تضمنه كتابها بأي لسان فهو الفرض الذي أوجبه الله علينا معاشر المسلمين، ولا ينبغي لنا أن نعطل أمراً واجباً مخافة أن يعوق عن أمر لا يرى الإسلام وجوبه، ومن زعم أن الترجمة على النحو الذي قلنا بجوازه أو وجوبه ليست جائزة على أي حال أخذاً مما فعله النبي ﷺ حين أرسل كتاباً إلى هرقل وضمنه بعض آيات من القرآن وكتبها باللسان العربي كما أنزلت ولم يأمر بترجمتها[2]، فنقول له: إن كتاب رسول الله يدل على جواز الترجمة لما فيه من الإشارة الدالة على الجواز، ذلك لأنه ﷺ يعرف أن هرقل لا يعرف العربية ويعلم تبعاً

1 - بمعنى أنه إذا قام به بعض المسلمين لسقط عن الباقين، وإذا تركوه جميعا أثِمُوا جميعا.

2 - ونصه: ((من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسيين و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ الآية 64 من سورة آل عمران، والإريسيون جمع أريس والمراد به من تحت إمرته من الفلاحين والعامة.

أن الكتاب بما فيه من قرآن لا بد أن يترجم له باللغة التي يعرفها، فكان ذلك بمثابة إذن صريح منه عليه الصلاة والسلام بترجمة الآية إلى غير العربية. وقد جاء في صحيح البخاري: أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي ﷺ فقرأه إلى آخره. والترجمة المعنوية للقرآن هي الطريق إلى التبليغ لمعاني القرآن وإيصال هدايته إلى الناس جميعاً من غير العرب ليهتدوا بهديه وينتفعوا بما اشتمل عليه من حكم ومواعظ، وأوامر ونواه، وتبشير وإنذار، وحكم وأسرار.

ومن المعلوم، أن تبليغ الدين الإسلامي إلى من لم يبلغه يعد فرضاً كفائياً على علماء المسلمين لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، وقوله ﷺ: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[2]، وما طريق تبليغه إلى من لا يعرف العربية إلا بترجمة تفسيره إلى لغاتهم ليعرفوا ما فيه من هدى فهذا طريق متعين، وبدونه لا يتم التبليغ الواجب شرعاً، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب باتفاق علماء الأصول.

ومن فوائد هذه الترجمة أيضاً وهي الترجمة المعنوية: حماية العقيدة الإسلامية من تضليل المبشرين الذين أسرعوا إلى ترجمة القرآن ترجمة حرفية -في زعمهم- حشوها بالأباطيل والأضاليل ليظهروا الدين الإسلامي بمظهر مشوه، مليء بالخرافات وبما لا معنى له، وغرضهم -والله أعلم- أن يحجبوا نوره ويخفوا محاسنه عن العقول والبصائر. ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3]

---

1 - الآية 122 من سورة التوبة.

2 - الحديث الشريف رواه الشيخان البخاري ومسلم، التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول، جـ1، ص66 بلفظ: ليبلغ الشاهد الغائب.

3 - من الآية 8 من سورة الصف، ولفظها: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ولا يخفى أنه لو ترجم القرآن ترجمة معنوية إلى غير العربية بمعرفة علماء المسلمين من جهات الاختصاص لكان هو الحجة لهم على غيرهم، ولكانت هذه الترجمة المقترحة من أقوى أسلحة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ومن أعظم عوامل حمايتها ومما لا ريب فيه أن الدفاع عن الإسلام يكون بقوة الحجة والبيان، كما يجب بقوة السيف والسنان.

خامساً:- شروط الترجمة وأمثل الطرق لترجمة القرآن

سبق أن عرفنا أن تفسير القرآن الكريم من العلوم التي فرض الله على الأمة تعلمها، والترجمة المعنوية تعتبر تفسيراً للقرآن بغير لغته، فكانت أيضاً من الأمور التي فرضت على الأمة بل هي أوكد لما يترتب عليها من المصالح المهمة كتبليغ معاني القرآن وإيصال هدايته إلى جميع المسلمين ممن لا يتكلمون بالعربية كما تقدم قريباً، وهذه الترجمة التي قلنا بوجوبها لا بد أن تكون صحيحة ذات مواصفات خاصة وشروط معينة، ومن أهمها ما يلي:

1- أن تكون الترجمة على شريطة التفسير ولا يعول عليها إلا إذا كانت مستمدة من الأحاديث النبوية الصحيحة، ومن علوم اللغة العربية، ومن الأصول المقررة في الشريعة الإسلامية. فلا بد للمترجم من اعتماده في استحضار معنى الأصل على تفسير مستمد من ذلك، أما إذا استقل برأيه في استحضار معاني القرآن أو اعتمد على تفسير غير مستمد من تلك الأصول، فلا تجوز ترجمته ولا يعتد بها كما لا يعتد بالتفسير الذي اعتمدت عليه.

2- ألا يكون المترجم معروفاً بالهوى والميل إلى عقيدة زائفة، مخالفاً لما جاء به القرآن، وهذا شرط في المفسر، والمترجم حتى لا يفسر الأول بهواه، ولا يترجم الثاني برأيه وعقيدته بل يكون رائد كل منهما القرآن وهداه.

3- أن يكون المترجم عالماً باللغتين المترجم منها والمترجم إليها، خبيراً بأسرارهما، عالماً بجهة الوضع والأسلوب والدلالة لكل منهما، وكثيراً ما وضعت ترجمات للقرآن ممن لا يحيطون علماً بكلتا اللغتين أو بإحداهما فجاءت مليئة بالأخطاء والأباطيل والأكاذيب على الله وكتابه، فإذا اجتمعت هذه الشرائط كانت الترجمة التفسيرية مطلوبة شرعاً طلب فروض الكفاية، كما تقدم[1].

أمثل الطرق لترجمة معاني القرآن:-

تكون ترجمة القرآن صحيحة ومطلوبة، إذا روعي فيها ما يلي:

1- أن تتوافر فيها وفي المترجم الشروط السابقة.

2- أن تصدر في مقدمتها بما يدل على أنها ليست ترجمة حرفية للقرآن، وإنما هي ترجمة لمعانيه التي فهمها المترجم أو غيره من الآيات، فإن كان فيها خطأ فهو منسوب إلى المترجم أو المفسر، وليس منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى.

3- يكتب النص القرآني بالعربية في أعلى الصفحة ثم يكتب التفسير بالعربية بعده مباشرة في الصفحة نفسها، ثم تكتب ترجمة التفسير بعده في أسفل الصفحة ذاتها حتى لا يتوهم متوهم أن هذه ترجمة حرفية للقرآن وحين يكون النص القرآني وتفسيره[2]. وترجمة هذا التفسير بين يدي القارئ بحيث يمكنه إن كان من أهل النظر والرأي أن يقارن بين كل ذلك ويتبين أين يقع الخطأ، وأين يقع الصواب، وفيما يلي رسم توضيحي لصحيفة من الترجمة المثلى:-

---

1 - هذه الطريقة التي أثبتها موافقة تقريبا للطريقة التي أفتى بها علماء الأزهر الشريف وأجازوا الترجمة المعنوية للقرآن الكريم سنة 1945م، كما تقدم قريبا.

2 - يرى الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس هيئة كبار العلماء بأنه لا داعي لإثبات طباعة التفسير العربي مع الترجمة لعدم الحاجة إليه مع مراعاة الشروط المتقدمة هـ من اللآلئ الحسان، ص347.

قرآن كريم باللغة العربية

تفسير القران باللغة العربية أيضاً

ترجمة التفسير بغير اللغة العربية

الأسئلة

س1) ترجع أهمية مبحث ترجمة القرآن إلى أمرين اذكرهما وبين معنى الترجمة لغة؟ واذكر نوعي الترجمة مبيناً الفرق بينهما بالتفصيل؟

س2) ما حكم ترجمة القرآن إلى غير العربية من حيث الجواز وعدمه مبيناً خلاف العلماء فيه، وحقيقة الخلاف بين الرأيين؟

س3) لماذا كانت الترجمة الحرفية غير ممكنة ولا جائزة مبيناً ما يترتب على هذا الحكم؟ ولماذا كانت الترجمة المعنوية أو التفسيرية ممكنة وجائزة؟ ومتى تكون واجبة؟

س4) اذكر الشروط اللازمة لترجمة القرآن ترجمة جائزة وصحيحة مبيناً أمثل الطرق للترجمة؟

الخاتمة

خاتمة الكتاب

هذا ما تيسر لي جمعه وترتيبه في هذا القسم من الكتاب، أرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب في ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة، وروى أيضاً عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار[1].

فاللهم إنك تعلم أني أعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأعلم وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن كل ما جاء به حق وصدق.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء[2] لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[3]. اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وأعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ودعاء لا يرفع. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر، اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري

---

1 - جـ1، ص240.

2 - أبوء، أي اعترف وأقر.

3 - روى هذا الحديث في صحيح البخاري، وجاء في آخره أن من قال هذا الدعاء حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قاله حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة؛ انظر فقه السنة للشيخ سيد سابق، جـ1، ص503.

نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وتحتي نوراً، وخلفي نوراً[1]، يا أرحم الراحمين، يا كريم.

وصلِّ اللهم صلاةً دائمة على نبيك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً إلى يوم الدين، آمين، آمين، آمين. انتهى طرابلس في يوم 4 من شهر الربيع/ مارس من سنة 1990 إفرنجي.

---

1 - حديث شريف رواه مسلم في صحيحه.

المراجع

المصادر والمراجع

فيما يلي بيان للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه المباحث مقتصراً على ما وقع منه الاقتباس مباشرة وأثبت في الهوامش مرتبة على الحروف الهجائية[1].

أولاً:- الكتب المطبوعة

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي.

2- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، بالمطبعة الحسينية، 1389هـ.

3- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد محمد أبي شهبة، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1393هـ 1973م.

4- إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، الطبعة الثالثة الحلبي مصطفى، 1651م.

5- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي، من منشورات دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

6- الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة 1980م.

7- أوضح التفاسير للشيخ محمد بن الخطيب، الطبعة السابعة المصرية.

8- بحوث في قصص القرآن، سيد عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبنانية.

9- البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى بمصر، سنة 1328هـ.

---

[1] - الألف واللام غير معتبرة في الترتيب والمعتبرة ما بعدها.

10- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، الطبعة الأولى عام 1376هـ.
11- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي دار المعرفة، بيروت- لبنان.
12- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف، الطبعة السابعة عيسى الحلبي، 1380هـ بمصر.
13- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، دار الطباعة المحمدية، 1380هـ.
14- تاريخ القرآن للأبياري، دار الكتاب اللبنانية بيروت، 1982م، لبنان.
15- تاريخ القرآن، لأبي عبد الله الزنجاني من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.
16- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
17- تنزيه القرآن من المطاعن للقاضي عبد الجبار، الطبعة الأولى، النهضة الحديثة، لبنان.
18- تدريب الراوي شرح تقريب النووي للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، 1378هـ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
19- التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي، طبعة دار الكتب عام 1381هـ.
20- تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل ابن كثير طبعة عيسى الحلبي بمصر.
21- تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
22- تفسير جزء عم للإمام محمد عبده، مطابع الشعب بالقاهرة.
23- تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربي، مطابع الشعب بالقاهرة.
24- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور عيسى الحلبي 1964م.
25- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية 1338هـ، دار المعرفة للنشر بيروت لبنان.

26- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي مطبعة الشعب بالقاهرة.
27- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن، تحقيق سعيد الأفغاني، من منشورات جامعة بنغازي.
28- شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ محمد الضباع، الطبعة الأولى، سنة 1974م.
29- شرح عبد السلام علي جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي.
30- دائرة المعارف الإسلامية، طبعة الشعب بالقاهرة.
31- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، مطبعة الحلبي بمصر، سنة 1970م.
32- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري طبعة الشعب بالقاهرة.
33- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج طبعة الحلبي وشركاءه بالقاهرة.
34- العقائد الإسلامية للسيد سابق طبعة لبنانية.
35- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسين النيسابوري، طبعة بولاق مصورة عن الأميرية.
36- الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام محمد بن علي بن حزم الظاهري، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرالية بمصر سنة 1317هـ.
37- الفن القصصي في القرآن، د. محمد خلف الله، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، 1972م.

38- قصص الأنبياء للحافظ عماد الدين ابن كثير، الطبعة الأولى، سنة 1388هـ.
39- القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الطبعة الثانية مصطفى الحلبي.
40- القرآن هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، للشيخ محمد الصادق عرجون من منشورات مكتبة الكليات الأزهرية.
41- المفردات في غرائب القرآن للراغب الأصفهاني، المطبعة الحلبية، عام 1381هـ.
42- المستصفى من علم الأصول للإمام محمد الغزالي، المطبعة الأميرية بمصر عام 1322هـ.
43- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، مع كتاب النقط للإمام أبي عمرو الداني من مطبوعات مكتبة النجاح بطرابلس ليبيا.
44- المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب للوانشريسي دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.
45- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طيبة للنشر للشيخ محمد سالم محيسن مكتبة الكليات الأزهرية.
46- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي وشركاءه بمصر.
47- محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي مطبعة مصطفى الحلبي بمصر الطبعة الثانية، عام 1390هـ.
48- مفاتيح الغيب للإمام عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي المطبعة الشرقية سنة 1308 هـ.

49- مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع خليل القطان، طبعة مؤسسة الرسالة ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح مطبعة دار العلم للملايين.
50- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن للغربي التونسي دار الرائد العربي بيروت- لبنان.
51- مع القرآن الكريم للشيخ القارئ محمود خليل الحصري، مطبعة الشعب بالقاهرة.
52- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني طبعة دار للمعرفة، بيروت – لبنان، ت. محمد سيد كيلاني.
53- اللآلئ الحسان في علوم القرآن للشيخ موسى شاهين لاشين طبعة دار الكتب، عام 1388هـ.
54- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي الدار التونسية للنشر.
55- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للشيخ محمود حجازي طبعة دار الكتب الحديثة، عام 1390هـ.

ثانياً:- المجلات والبحوث العلمية

1. آيات القسم في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للأستاذ كمال محمد للهدي قدمت لجامعة الأزهر سنة 1968، مطبوعة بالآلة الكاتبة.
2. مذكرة في علوم القرآن للدكتور محمد حسين الذهبي كتبها لطلبة الدراسات العليا بالأزهر سنة 1971م.
3. مجلة الأزهر الشريف مجلد سنة 1380 هـ، 1960م.
4. مجلة نور الإسلام العدد الحادي عشر سنة 1971م.
5. مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الفهــرس

دار الخمس للطباعة
031 629583/4